T/16-950.953-05/05

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

شعبة الفنون الشعبية

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 88
تاريخ الوصول /
رقم الترتيب /

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

موسومة :

العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/13 إلى 15م

إعداد الطالب :

بلحسن إبراهيم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

أعضاء لجنة المناقشة :

- ✓ أ.د/ عكاشة شايف : رئيسا
- ✓ أ.د/ عبد الحميد حاجيات : مشرفا
- ✓ د/ مصطفى أوشاطر : عضوا
- ✓ د/ عبد الحق زريوح : عضوا
- ✓ د/ شعيب منغونيف : عضوا

السنة الجامعية : 2004 - 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى والدي العزيز و والدتي العزيزة

و إلى إخوتي و أخواتي و إلى كل الأقرباء

و الأصدقاء و أساتذة

ثانوية داود محمد الجبلي الرمشي أهدي هذا العمل المتواضع .

إبراهيم بلحسن

المقدمة

المقدمة

جرى العمل في الدراسات الأكاديمية أن يحدد الموضوع زمانيا و مكانيا و عليه فإن الفترة الزمنية التي سيتناولها هذا البحث قد تم تحديدها من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع هجري الموافق للقرن 13 م إلى القرن 15 م أي أنها تمتد على 3 قرون .

أما الإطار المكاني لهذا البحث فهو جزء من بلاد المغرب الإسلامي ، يتعلق الأمر بالمغربين الأوسط و الأدنى الذين ربطتهما علاقات ثقافية .

إن موضوع بحثنا يتناول العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأدنى بعد سقوط دولة الموحدين ، و رغم طابع الصراع الذي ميز علاقاتهما السياسية، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود روابط ثقافية بينهما ومن هنا جاءت رغبتنا لدراسة هذا الجانب الذي ظل يحوم حوله الغموض ، فلم تتناوله الدراسات التاريخية بكيفية عميقة و مستقلة ، و لا ننكر بعض الجهود الخاصة في هذا الميدان و هي تستحق التنويه ، لكنها عولجت من خلال التاريخ العام للبلدين أ و في ثنايا الحديث عن تاريخ العالم الإسلامي .

و تبقى الرغبة في إبراز العلاقات الثقافية بين المغربين و الوقوف على الجوانب الحضارية و غيرها من دوافع اختيار هذا الموضوع .

يطرح هذا البحث مجموعة من التساؤلات أهمها : أين تتجلى مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين ؟ هل هناك فرق في مناهج التعليم و المواد المدرسة في البلدين ؟ كيف ساهمت المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين في ظل الصراع السياسي و الحروب

التي كانت تندلع من فترة إلى أخرى ؟ أين يبرز دور الرحلة في طلب العلم و المهاجرين الأندلسيين في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين ؟ تلك أهم التساؤلات التي يطرحها الموضوع و تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها قدر المستطاع و الإلمام بجوانبها في حدود ما تسمح به المادة التاريخية المتوفرة باعتبارها الأرضية التي ينطلق منها في سبيل ذلك .

إن المنهج المتبع في هذا البحث يقوم أساسا على التحليل و التعليل و تفسير الأحداث و مناقشتها و هذا من شروط الكتابة التاريخية ، كما اقتصرت على تحري الدقة و الموضوعية و زودت بحثي بصور و خرائط تشير إلى ما أذكره بالكلمات و الأحرف .

و مهما يكن الأمر فلا أريد الحديث عن صعوبة المهمة و إنما يمكن التعرض إلى مشكلة يعاني منها الباحث المتخصص في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط و هي قلة المصادر التي تشير إلى الجانب الثقافي الذي يربط البلدين و بالأخص في الفترة التي ندرسها ، لكن ذلك لم يثبط من عزيمتنا في تناول الموضوع و إعطائه حقه من الدراسات فكان لازما البحث و التنقيب حتى نصل إلى الهدف المنشود .

و بفضل المادة التاريخية التي جمعتها تمت دراسة الموضوع و لم شتاته في مقدمة اشتملت على خطة البحث و المنهج الذي سلكته في معالجة الموضوع ثم قسمت بحثي إلى أربعة فصول :

- خصص الفصل الأول لدراسة واقع المغربين الأوسط و الأدنى في القرن7 هـ / 13 م ، مع تحديد الظروف التي قامت فيها الدولة الزيانية و الحفصية ، و طبيعة العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين البلدين ، و هل تأثر واقعهما و علاقتهما الثقافية بصراعهما السياسي ؟ .

- و في الفصل الثاني تناولت أصناف العلوم و مناهج التعليم و حددت أهم العلماء الذين برزوا في الدولتين خلال القرن 7 هـ / 13م إلى القرن 9 هـ / 15 م .

- و خصصنا الفصل الثالث للحديث عن المؤسسات التعليمية من كتاتيب و زوايا و مساجد و مدارس و كيف ساهمت هذه المؤسسات في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين .

- أما في الفصل الرابع فحددت أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الأوسط و الأدنى و كيف ساهمت الرحلة في طلب العلم و الهجرة الأندلسية في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين .

و أنهيت دراستي بخاتمة أوجزت فيها ما انتهيت إليه من نتائج أحسبها مفيدة و لكنها تظل في حاجة إلى المراجعة و التطوير على ضوء ما يكتشف من وثائق و يجد من معطيات .

و بهذا أكون قد حاولت أن أتناول بالبحث و الدراسة جميع جوانب موضوعي و آمل أن أكون بهذا العمل المتواضع قد أسهمت بجديد في حقل الدراسات المتعلقة بتاريخ المغرب الإسلامي .

و في الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذي المشرف

الأستاذ الدكتور : عبد الحميد حاجيات على رعايته العلمية لهذا البحث و توجيهه المنهجي طوال هذه الفترة التي قضيتها في مجال البحث ، كما أخص بالشكر لجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذه الرسالة و أدعوا الله أخيرا أن يجيز خيرا كل من ساهم في إتمام هذا العمل بأي وجه من وجوه العون و المساعدة .

دراسة المصادر

و من المصادر الزيانية كذلك كتاب " **نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان** " لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ولد سنة820 هـ و حققه الأستاذ محمود بوعياد سنة 1985 و قد كتب التنسي كتابه هذا في سبيل إرضاء ولي نعمته (كما أشار هو نفسه في مقدمة الكتاب) المذكور بالسلطان أبي عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله و ذلك في الفترة ما بين 866 و 873 هـ قد استنفدت منه كثيرا خاصة الباب الثاني المتعلق أساسا في بيان شرف بني زيان و استيلائهم على الحكم في تلمسان كما أفادنا هذا الكتاب في تحديد أدوار السلاطين الزيانيين في المجال الثقافي و كذا معرفة بعض العلماء الحفصيين الذين رحلوا إلى تلمسان و استقروا بها و درسوا في مدارسها.

و من كتب الطبقات التي استفدنا منها كثيرا في المجال الثقافي خاصة فيما يتعلق بالعلماء الذين ترجمنا لهم فضلا عن رصدنا للحركة الفكرية من خلال حركة العلماء كتاب " **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** " لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني و احتوى هذا الكتاب على اثنين و ثمانين و مائة عالم و ولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها ، لقد أفادنا هذا الكتاب في معرفة بعض أسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا البحث ، كما أن أسلوبه يتميز بالدقة و ذكر أسماء العلماء الذين كان قد أخذ عنهم بعض الأخبار ، الأمر الذي جعل منهج هذا المؤلف سليما و دقيقا .

و إلى جانب المصادر الزيانية استفدنا استفادة كبيرة من مختلف أنواع المصادر المغربية و الأندلسية في الكثير من الأمور التي تتعلق بالتطور الثقافي خصوصا و الحضاري عموما لدولة بني عبد الواد و تأتي على رأس هذه المصادر " **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** " لعبد الواحد المراكشي و الذي فرغ من تأليفه سنة 621هـ 1224 م و يعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر التاريخ الإسلامي في المغرب و في العصر الوسيط خاصة الفترة الموحدية و قد استفدنا منه في معرفة علاقة بني عبد الواد بالموحدين .و من كتب الطبقات أيضا كتاب " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** " لابن عذارى (كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م). يتناول ابن عذارى في كتابه هذا تاريخ المغرب و الأندلس منذ الفتح حتى مطلع القرن الثامن الهجري.

ب. المـــصـــادر الحـــفـــصـــيـــة :

إن المصادر التي تناولت الدولة الحفصية من القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي إلى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي غزيرة على العموم لكنها في معظمها تركز على الجانب السياسي فكان علينا دراسة هذه المصادر دراسة متأنية في استخراج كل ما له علاقة بالجانب الثقافي .

لعل من أهم المصادر التي ساعدتنا كثيرا و استفدنا منها في دراستنا كتاب " **العبر** " لعبد الرحمن بن خلدون و" **المقدمة** " في مختلف محاور بحثنا خاصة في الفصل الثاني عند تطرقنا لأهم العلوم التي كانت تدرس في الدولتين و كذا مناهج التعليم المتبعة في مختلف أطوار التعليم و تتميز المقدمة بالدقة و عدم السرد عدا ما يتطلبه أي مقام من إعطاء أمثلة توضيحية .

إن دارس تاريخ الدولة الحفصية لا يمكنه حتما الاستغناء عن كتاب " **تاريخ الدولتين:الموحدية و الحفصية**" للزركشي (ت882هـ 1478م) و قد استفدنا من هذا الكتاب في تتبع تطور الدولة الحفصية و علاقتها مع جيرانها كما تمكنا من خلال هذا الكتاب تحديد الأدوار الثقافية لبعض السلاطين الحفصيين ، هذا بالرغم من أن الزركشي في تناوله لتاريخ الدولة الحفصية أبدى تحيزا للأسر الحاكمة ، كما يلاحظ العديد من الثغرات في تعاقب الأحداث السياسية لديه و هذا ربما ما جعل عبد الرحمن بن خلدون لا يشير إليه بشأن تنظيم و سير عمل الإدارات العامة في الدولة و الحياة في القصر[1] . و من المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الدولة الحفصية كتاب " **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** " لابن القنفذ القسنطيني (ت 810 هـ 1407 م) و زودنا هذا الكتاب بأخبار الدولة الحفصية و أحوال أمرائها و سلاطينها و أدوارهم السياسية و الثقافية.

إضافة إلى هذه الكتب وظفنا في دراستنا هاته كتاب " **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس** " لابن أبي دينار القيرواني (ت 1110 هـ /1698 م) و على الرغم من أنه متأخر عن العهد الحفصي ، إلا أنه احتوى على معلومات متنوعة هامة في الجانب السياسي و الثقافي. و في رصدنا لحركة علماء الدولة الحفصية استفدنا من كتاب : "**عنوان الدراية فيمن عرف من**

---

[1] عبد الوهاب بن منصور : مؤرخو الدولة بين الأمانة التاريخية و الالتزامات الوظيفية ، المجلة التاريخية المغربية : الأعداد 45-46 1987 ، ص ص : 145-151

العلماء في المائة السابعة ببجاية" للغبريني (ت 704 هـ 1304 م) تحقيق الأستاذ رابح بونار و هو من كتب الطبقات ، هذا إضافة إلى كتاب " **الوفيات**" لابن القنفذ القسنطيني (ت 810 هـ- 1407 م) و اختص هذا الكتاب بإيراد تراجم حول العلماء في القرن الثامن الهجري على الخصوص.

يأتي كتاب " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** " لابن عذارى (كان حيا سنة 712 هـ 1312 م) هذا من أهم الكتب التاريخية التي أفادتنا في تحديد العلاقة بين الدولة الحفصية و الدولة الزيانية كما استفدنا من كتاب " **الإحاطة في أخبار غرناطة** " للسان الدين ابن الخطيب و حفل هذا الكتاب بتراجم العلماء و المشاهير و كتاب " **درة الحجال في ذكر أسماء الرجال**" لابن القاضي و كتاب " **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" و هو تكملة كما يقول مؤلفه ابن فرحون (ت 799 هـ 1397 م) هذا إضافة إلى كتاب "**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** " للمقري (1401 هـ 1631 م) و احتوى هذا الكتاب على تراجم كثيرة للعلماء و منها ما ورد مفصلا عن المصادر الأخرى الأمر الذي يمكن أن يدل على أنه اعتمد على مصادر لم تصلنا.

من بين كتب الجغرافيا التي اعتمدنا عليها كتاب "**وصف افريقيا** " للحسن الوزان (ولد في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري بغرناطة) و قد أفادنا هذا الكتاب في رصد بعض المعالم الثقافية تناولها المؤرخ في كتابه هذا أثناء مروره ببعض الحواضر الزيانية و الحفصية كما اعتمدنا على كتاب " **معجم البلدان** "لياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228 م) و هو مرتب على حروف المعجم و أفادنا في تحديد موقع حواضر الدولة الزيانية و الحفصية .

هذه بعض المصادر الرئيسية التي اعتمدنا عليها في بحثنا إضافة إلى عدد هام من المراجع و الأبحاث باللغة الفرنسية و العربية ساعدتنا كثيرا في تحليل أحداث و إبراز انعكاساتها خصوصا على الجانبين السياسي و الثقافي و كذلك استكشاف أمهات المصادر التي تخص البحث و توسيع أفقه و استنباط المناهج المناسبة للبحث بالإضافة إلى أهميتها الكبيرة في التعرف على جوانب هذا الموضوع أثناء القراءات الأولى قبل و بعد تسجيله.

أخيرا إن أهم ما يستنتج من دراستنا لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها أنها كانت مستفيضة حول الأمور و الجوانب السياسية للدولتين و شحيحة في الأمور و الجوانب الثقافية خاصة في الفترة التي شملتها الدراسة و عليه فهذا البحث بمحتواه هو انعكاس حقيقي لذلك إلى حد كبير .

الفصل الأول

واقع المغربين الأوسط والأدنى

خلال القرنين 7 و9 هـ/13 -15م

أ – الدولة الزيانية

1 – ظروف قيامها .

2 – بداية ظهور الزيانيين .

3 – استقلال بني زيان بتلمسان .

4 – حدود الدولة العبد الوادية.

ب – الدولة الحفصية

1- بداية ظهور الحفصيين.

2- الظروف المساعدة في ظهور الحفصيين .

3- الموحدون وموقفهم من حركة بني غانية .

4- التطورات السياسية في إفريقية بعد وفاة الناصر وأبي محمد عبد الواحد .

5- استقلال الحفصيين بإفريقية .

6- دور أبي زكرياء في تأسيس الدولة الحفصية .

ج- طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية خلال القرنين:07 -09هـ / 13 -15م

د- العلاقات بين الدولتين إلى غاية نهاية السيمنة الحفصية .

1- الولاء الزياني للحفصيين .

2- من الولاء التام إلى محاولة الاستقلال .

هـ- أثر الصراع الزياني الحفصي على العلاقات الثقافية .

الـــــــدولة الـــــــزيانية :

1- ظروف قيامها : نشأت الدولة الزيانية في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، 633 / 1235 م [1] على أنقاض دولة الموحدين وتميزت الفترة الزمنية التي نشأت فيها الدولة الزيانية منذ بدايتها بالتقلب والاضطراب فمنذ أواخر الدولة الموحدية تفشت روح التمرد في المجتمع الإسلامي بالمغرب والأندلس فابتداء من سنة609هـ/1212م[2] بدأت دولة الموحدين تتفكك وتتصدع ، ودام التصدع أكثر من خمسين سنة إذ عمت الثورات والتقلبات مختلف مناطق الدولة الموحدية مما أدى إلى انهيارها وضعفها وانقسام ممتلكاتها بين الحفصيين وبني عبد الواد والمرينيين والنصريين .

2- بداية ظهور الزيانيين : تعددت القبائل التي استقرت بتلمسان وكانت تحت سلطة فرع بني يفرن [3] و هي إحدى القبائل الرئيسية من زناتة [4] وهم

---

[1]- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة ، بيروت، 1967 الجزء : 3، ص ص : 241-240

[2]- سقطت دولة الموحدين على يد بني مرين سنة 668 هـ /1269م . أنظر : مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج : 2 ،ص : 312 .

[3]- بنويفرن : استقروا في تلمسان و تيهرت وكانت لهم بطون كثيرة .أنظر: ابن خلدون : العبر ، مطبعة بولاق المصرية ، 1284 هـ ، ج: 7 ، ص ص : 17-18 .

[4]- زناتة : قبيلة مغربية تتكون من بطون عديدة متشعبة أكثرها تتواجد بالمغرب الأوسط . أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ص : 03-07 .

من البدو و الرعاة. وإلى فرع بني واسين [1] ينتمي بنو عبد الواد ، وهي إحدى قبائل زناته أيضا .

وقد نسبهم البعض إلى البربر والبعض الآخر إلى إدريس بن عبد الله [2] وافتخر الزيانيون بهذا النسب ، كما أنهم لم يكتفوا بتأكيد نسبهم إلى إدريس بل تقربوا إلى العلويين [3] أيضا .

لقد عاش بنو عبد الواد بداية أمرهم في الصحراء شرق المغرب الأوسط . وكانت بداية ظهورهم منذ الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي في عهد عقبة بن نافع الفهري حيث شكلوا فرقة في جيشه في مسيرته نحو الغرب عام (682م) وقد أبلوا معه بلاء حسنا ، حيث انهارت قوة بني يفرن إثر الفتح الفاطمي في القرن العاشر الميلادي أمام مغراوة [4] الذين أبقوا سلطتهم على

---

[1] بنوواسين: هو أبناء واسنين من بني يصلتن، اشتهروا بفرعيهم الأساسيين مثل بادين الذي تفرع منه بنو عبد الواد و بنو توجين و بنو زردال و بنو مصاب و بنو راشد . انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 114.

[2] –إدريس بن عبد الله : امتدت ولايته على الدولة الإدريسية من (172-177 هـ /788-793م).انظر : مبارك الميلي : المرجع السابق ، ص : 100 .

[3] – العلويون: قبائل من جنوب شرق المغرب في تافيلات،لعبوا دورا سياسيا انطلاقا من تافيلات منذ بداية القرن 11هـ . انظر : مؤلف مجهول : تاريخ العصر الحديث،مكتبة المعارف ، الرباط ،المغرب .

[4]– مغراوة : يمتد موطن مغراوة من تلمسان غربا إلى الشلف شرقا و ظلت مغراوة تتميز بالطابع البدوي و الريفي و قلة النفوذ و القوة مما جعلها تتعرض لضربات عبد الواد من حين إلى آخر . انظر : عبد الرحمن بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ص : 50 . التنسي : نظم الدر و العقيان ، تحقيق و تعليق محمود بوعياد المكتبة الوطنية سنة 1985 ، ص : 115 .

تلمسان حتى فتح المدينة على أيدي المرابطين[1] 1079م وقد تم إزاحة بني عبد الواد في هذه الفترة على يد العرب الهلاليين من الزاب في منطقة قسنطينة ،ليستقروا بعد ذلك في جنوب منطقة وهران الحالية[2].

ولم يظهر بنو عبد الواد على مسرح الأحداث في تلمسان ، إلا في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي على إثر تغلب الموحدين على المغرب الأوسط ، حيث كانوا سباقين إلى طاعتهم فأقطعوهم ضواحي منه .

وجاء في رواية ليحيى بن خلدون أن عبد المؤمن بن علي[3] قد استنجد بشيخ قبيلة بني عبد الواد لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها بنومرين فلبى كبير بني عبد الواد نداء السلطان عبد المؤمن و استرجع له غنائمه فاستحسن عبد المؤمن صنيعهم فأقطعهم تلك الربوع جزاء مؤازرتهم له .

لعبت العصبية القبلية دورا بارزا في ظهور بني عبد الواد[4] على مسرح الأحداث حيث استدعت الضرورة الاجتماعية جمع شمل الأسرة العبد الوادية ضمن عشائر

---

[1]— المرابطون : شملت دولتهم الصحراء و امتدت إلى حدود السودان و المغرب و الأندلس من شرقها إلى غربها ، و في سنة 454 هـ أصبحت مدينة مراكش عاصمة دولتهم .انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة ، 1963 ، ص : 101 .

[2] عبدالفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثالث ، ج :5 و ج : 6 ، مكتبة مذبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1994 ، ص : 109 يحي بن خلدون : بغية الرواد ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية الجزائر ، سنة 1980 ، ص : 108 .

[3] —عبد المؤمن بن علي الكومي : امتدت خلافته على الدولة الموحدية من :(524 –558 هـ /1130 – 1163 م) .انظر:ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة.بما على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان 1987 ، ص : 79 .

[4]— يطلق على الدولة الزيانية ، الدولة العبدالوادية نسبة إلى قبيلة بني عبدالواد . انظر : التنسي: نظم الدر و العقيان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد ، المكتبة الوطنية ، سنة : 1985 ، ص : 105 وما بعدها .

ثم اتحدت العشائر فأضحت قبيلة ، وقد دفعتها الرغبة في الأمن والتطلع إلى توحيد صفوفها ضمن وحدة اجتماعية أكثر فعالية .وهكذا نشأت قبيلة بني عبد الواد كما تنشأ القبائل جميعها وسلمت زمام أمورها إلى شيخ من مشايخها يقود الحرب ويفض النـــزعات بين الأفراد .

إن الوضع الاجتماعي الحسن الذي عرفته القبيلة وامتلاكها لمواهب وخبرات عديدة في ميدان القتال والفروسية والسلوك الحسن لأبنائها جعلها محل احترام غيرها من القبائل كما أكسبها تقدير الموحدين وعطفهم .

وبعد ما كانت هذه القبيلة تجوب الصحراء طولا وعرضا من أجل الرعي ، انتقلت إلى طور الزراعة خلال عهد الموحدين الذين أقطعوها عامة بلاد يلومي [1] وبلاد وامانوا [2] فقويت شوكتهم وهيمنوا على القبائل الأخرى بعصبيتهم ، فإزداد تأثيرهم و لم يبق سوى انتهاز الفرصة المناسبة لإعلان قيام دولتهم .

فلما آل أمر الدولة الموحدية إلى السقوط ، تغيرت مواقف بني عبد الواد السياسية حيث استغلوا تلك الظروف وحالات التردي باعتبارهم أقوى القبائل آنذاك بما لهم من زعامة، وللحفاظ على الموارد الاقتصادية التي منحت لهم من قبائل الموحدين اعتنوا بالسياسة ولبوا دعوة الموحدين ، كلما استدعت الضرورة

---

[1]— بنويلومي : إستقروا على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء وسيق و سيرات وجبل هوارة وجبل بني راشد وكانوا في خدمة بني عبدالواد ويخضعون إلى طاعتهم . أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ص : 117 .

[2] –وامانوا : تنتسب هذه القبيلة إلى زناتة وكان موطنهم في شرق وادي مينا بمنداس أسفل شلف . ويقطن بعضهم قصور توات ، ولاية أدرار حاليا ، وكانوا يخضعون إلى بني عبدالواد وبني توجين في بعض الأحيان . أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ص : 204

آنذاك بما لهم من زعامة و قوة وتمركز بالقرب من تلمسان وفرضوا أنفسهم على أهالي البلاد وما لبثوا أن أصبحوا سادتها وحماتها واتخذوها حاضرة لهم [1] .وهكذا قطعت قبيلة بني عبد الواد مسيرة طويلة مكنتها من الظهور والوصول إلى الملك والسلطان .

3- استقلال بني زيان بتلمسان : من أكثر الأسباب التي أضعفت شأن الدولة الموحدية هزيمتها في معركة العقاب[2] 609 هـ / 1212م وما نتج عنها من تأزم الوضع بين أمراء الأسرة المؤمنية ، فبوفاة العادل [3]سنة 624 هـ /1227م وتعيين أبي زكرياء يحي المعتصم بن الناصر خلفا له على العرش اشتدت الأزمة السياسية و نتج عنها ظهور منافس خطير يدعى بأبي العلاء إدريس المأمون[4]بتأييد من أشياخ الموحدين[5] ، ولم تنته هذه الفتنة إلا سنة 633هـ/1235م بعد وفاة يحي المعتصم [6] . وفي هذه الأثناء كان نفوذ السلطة المركزية قد ضعف في إفريقية والمغرب الأوسط ولم يبق بها إلا تلمسان وما يليها خاضعة لسلطتهم .

---

[1]-السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب، في العصر الإسلامي، مؤسسة الشهاب للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون التاريخ ، ص : 786.

[2]- العقاب : معركة دارت بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي و بين الجيش الإسباني المسيحي بقيادة الفونسو الثامن بشمال الأندلس و انتصر فيها الإسبان انظر : المقري: نفح الطيب، دار صادر ، بيروت لبنان،عام: 1968 ، ج : 6 ، ص : 117 . الزركشي : تاريخ الدولتين ، تحقيق و تعليق محمد ماظور ، المكتبة العتيقة ، تونس بدون تاريخ ، ص : 18 . Arie Rachel : l'Espagne musulmane au temps nassirides (1232.1492) ed . E.de boccard , paris , 1973 P : 49 .

[3]- هو أبو عبد الله العادل بن منصور ، امتدت خلافته من(621 هـ -1224م /624 هـ- 1227 م). انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 163 .

[4]- هو أبو العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بويع في شوال سنة 624 هـ وتوفي مسافرا يوم السبت عاشر ذي الحجة عام : 629 هـ .انظر :الزركشي: المصدر السابق : ص : 163 .

[5]- الأشياخ : هم الذين اختارهم المهدي بن تومرت من أصحابه فهم بمثابة مؤسسة دينية وسياسية ، ذات عقيدة وسلطة وكان رجالها موقرين ويستشارون في جميع أمور الدولة . انظر: حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الثاني ، ج : 2، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط :1، 1992، ص ص: 182.181.

[6] - أبو يحي زكرياء المعتصم بن الناصر : بويع في شوال سنة 624 و توفي مسافرا سنة 629 هـ . انظر : الزركشي : المدر السابق ، 163 .

ولما كان الحفصيون يستعدون لإلغاء ارتباطهم بالدولة المؤمنية ، كانت معظم القبائل الزيانية في المغرب الأوسط تسعى للسيطرة على أراضي التل الغنية فاستقلت مغراوة [1] بناحية شلف واحتل بنو توجين [2] جبل الونشريس ، وبنو راشد [3] وبنوعبد الواد تلمسان واستقلوا بها وكان من نتائج هـــذه العملية حدوث عدة اضطرابات في المنطقة حيث أجمع كل من يحي بن خلدون [4] وعبد الرحمن بن خلدون [5] و التنسي [6] على رواية واحدة حول الكيفية التي وصلت بها قبيلة بني عبد الواد إلى الحكم وخلاصة روايتهم مفادها : أن السيد أبا سعيد عثمان شقيق المأمون، سلطان الموحدين كان واليا على مدينة تلمسان ، فأعتقل مشائخ بني عبد الواد [7] فسعى إليه إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني متشفعا فيهم فرد السيد أبو سعيد شفاعته فغضب لذلك ، وثار عليه فاعتقله ثم أطلق سراح مشائخ بنو عبد الواد ولكنه تمادى إلى أبعد من ذلك إذ خلع طاعة الموحدين وطمع في إعادة بعث الدعوة اللمتونية و اعتقد بأن ذلك لن يتم له إلا بالقضاء على النفوذ العبد الوادي فأراد أن يحقق مآربه بالتحايل على

1— مغراوة : يمتد موطنهم من تلمسان غربا إلى الشلف شرقا، و تميزت بطابعها البدوي الريفي مما أفقدها القوة و النفوذ و تعرضها لضربات بني عبد الواد من حين إلى آخر . أنظر: ابن خلدون ، المصدر السابق، ج: 7، ص50، التنسي : المصدر السابق، ص128.

2— بنو توجين : أكثر بني بادين عدواتا و كانوا يتواجدون في عدة مناطق مثل : منطقة التيطري ، أراضي صنهاجة، الونشريس ، إقليم سوس..أنظر : ابن خلدون، المصدر السابق ، ج:7، ص: 318 و ما بعدها.

3— بنو راشد : سكنوا الجبل الذي كان يسمى باسمهم (عمور حاليا) كما سكنوا المناطق الواقعة بين وادي مينا و وادي سيق ، و على هذه القبائل (أي بنو راشد) اعتمد بنو عبد الواد قي توطيد أركان دولتهم و مواجهة بني مرين و بني حفص.أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق، ج: 7، ص 315.

4— يحي بن خلدون : المصدر السابق، ص : 110.

5— ابن خلدون : المصدر السابق ، ج:7، ص: 319.

6— التنشي : المصدر السابق ، ص : 111 .

7— هم الذين اختارهم المهدي بن تومرت من أصحابه و هم بمثابة مؤسسة دينية ذات عقيدة و سلطة و كان رجالها موقرين يستشارون في جميع أمور الدولة . أنظر : حسين مؤنس : المرجع السابق، المجلد الثاني ، ج : 2 ، ص ص : 182-181

مشائخ القبيلة وقتلهم فأعد لهم وليمة دعاهم إليها بغرض اغتيالهم عند وصولهم، إلا أن خطته اكتشفت.

ونتيجة لذلك وقع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبد الواد وكان على رأس قبيلة بني عبد الواد حينئذ جابر بن يوسف ، عم يغمراسن فعقد له الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون [1] على ولاية تلمسان ، وما يليها من بلاد زناتة سنة627هـ /1229م فدخلها وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا طاعته.فتولاها (جابر بن يوسف) ،وقام يدير شؤونها ويدخل تحت نفوذه جميع بطون بني عبد الواد ، وهكذا أصبح بنو عبد الواد سادة تلمسان وضواحيها ، ولما حاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه وإخضاع جيرانه أطاعه كثيرون باستثناء (ندرومة)[2] التي أبت ذلك فحاصر المدينة ، فرماه من أسوارها يوسف الغفاري التلمساني [3] بسهم وقتله فخلفه على تلمسان ابنه الحسيني الذي تخلى عنها بعد ستة أشهر لعمه (عثمان بن يوسف) فعزل هذا الأخير بعد عام ونصف لاستبداده وسوء تدبيره ، فأقام بعده بالأمر أبو عزة زكران بن زيان بن ثابت بن محمد[4] مدة ثلاث سنين فأطاعه قومه. غير أن بني مطهر[5] رفضوا مبايعته وحاربوه بمساندة بني راشد، فقتل سنة 633هـ/1235م فانتهت الفتنة ولم تبق تلمسان حينئذ

---

[1]- هـو أبو العلاء إدريس المأمون بن المنصور ، أحد خلفاء الدولة الموحدية ، امتدت ولايته من : 627هـ/1230م إلى 629هـ/1231م. انظر: الزركشي، المصدر السابق ، ص: 163 .

[2]- التنسي : المصدر السابق ص:113. ابن خلدون : المصدر السابق ، ج:7، ص : 153. يحي بن خلدون: المصدر السابق ، ج:1، ص:200 .

[3]- أحد وجوه تلمسان . أنظر : ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 7، ص :153.

[4] - يسمى زكران بن زيان .انظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 149-150 ، ويسمى زيدان بن زيان . أنظر : يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 108 . التنسي : المصدر السابق ص : 113

[5]- بنو مطهر: من زناتة، ومن أبناء عمومة بني عبد الواد . انظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج : 7،ص:149.

ولاية موحدية ، فقد استولى عليها (يغمراسن بن زيان) [1] وكان أشد أبطالها بأسا وأعظم مكانة و انضم إليه بنو مطهر وبنو راشد الخارجون من قبل على أخيه فجعل من تلمسان قاعدة لإمارته و شرع في توسيع رقعتها على حساب الحامية الموحدية الضعيفة فأعلن استقلاله واستبد بالحكم .[2]

4 حدود الدولة العبد الواديـــة: قامت الدولة العبد الوادية في منطقة أطلق عليها المؤرخون اسم المغرب الأوسط وسميت كذلك نسبة إلى بني عبد الواد إحدى بطون زناتة ، كما سميت أيضا بالدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس هذه الدولة .

تمكن يغمراسن من التوسع غربا وكان الحد الطبيعي الفاصل بين مملكته وبني مرين الوادي المعروف بوادي "ملوية" شمالا إلى إقليم فجيج جنوبا، أي إقليم ولاية بشار حاليا[3] .

و تمكن يغمراسن من أن يمد رقعة دولته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه والمتحالفة معه حتى بلغت ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت[4] والبلاد التي تلي نهر ملوية ووادي صا و إقليم فيجيج في الجنوب الغربي وعلى مازونة وتنس و الونشريس والمدية وعلى مغراوة وبني توجين على سهل متيجة ، إلى أن وصلت سلطنته إلى أطراف بجاية كما اتسع مجالها نحو الجنوب إلى أن بلغت الصحراء.[5]

---

[1]- يغمراسن بن زيان: أول ملك لدولة بني زيان امتدت ولايته من 633هـ- 1235م إلى 681هـ-1283م.
انظر: يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج: 1،ص:200.

[2]- نفسـه ، ج: 1، ص : 106-107

[3]- عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق : ص :23

[4]- التنسي : المصدر السابق، ص ص: 118-119

[5]-BOUALI , Sidi ,Ahmed : Les deux grands sièges de Tlemcen , ENAL, Alger, 1984, p :27
-Brosslard Charles : Les inscriptions arabes de Tlemcen . Revue, Africaine , N°= 14 –3 ème Année 1859,Alger, pp :321-322.

و مما يلاحظ أن حدود الدولة الزيانية لم تكن ثابتة و مستقرة بل كانت تتغير و تتبدل بحيث تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعداد بني زيان و قوتهم العسكرية و الاقتصادية و استقرارهم و أمنهم و وحدة أمرائهم و انسجام قبائلهم و ولائها الصادق [1] .

لقد حاول بنو زيان جعل الحدود الغربية حدودا ثابتة منذ عميدهم يغمراسن، الذي أوصى بذلك و قد حاول أغلب خلفائه تطبيق الوصية [2] بينما جعلوا من المنطقة الشرقية و حدودها المتاخمة للدولة الحفصية مجالا للتوسع، عندما تتيح لهم الفرصة لذلك ، لا سيما في عهد كل من يغمراسن و أبي حمو الأول و ابنه أبي تاشفين الأول، فقد توغلت الجيوش الزيانية في عهد هذين العاهلين الأخيرين في الأراضي الحفصية و ضايقت مدن بجاية و قسنطينة و عنابة و خنقتها عدة سنوات حتى وصلت إلى مدينة تونس عاصمة الحفصيين [3] في عهد أبي تاشفين الأول 718هـ-1318 م/ 737-1337م ، و لكنها تراجعت إلى أطراف بجاية وهو أقصى اتساع لها في المنطقة الشرقية [4] .

إذن فالحدود الزيانية بلغت نواحي بجاية و بلاد الزاب من الشرق و نهر ملوية غربا و هنين و دلس و حصن " بكر "وتامزيزدكت عند مصب وادي بجاية ودي الصومام على ساحل البحر المتوسط شمالا و غرداية و إقليم توات جنوبا و هي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها بالرغم من الغزوات و الهجمات التي قامت بها كل من الدولة المرينية و الدولة

---

[1] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج: 1 ، ص : 43

[2] – نفسه، ج : 1، ص :44

[3] – التنسي : المصدرالسابق ،ص:137. يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج : 1، ص :218

[4] – التنسي : المصدر السابق ص :137 .

الحفصية مرات عديدة على الأراضي الزيانية و على عاصمتها مدينة تلمسان[1]

الدولة الحفصية :

1- بداية ظهور الحفصيين : ينتسب بنو أبي حفص إلى الشيخ أبي حفص [2] ، و هو من أصحاب المهدي بن تومرت [3] العشرة و الذين يسمون" بالجماعة". و تشير بعض المصادر التاريخية أن الاسم الحقيقي لهذا الشيخ هو : "فاصكة بن ومزال " و أن المهدي بن تومرت هو الذي سماه بـــ" أبي حفص عمر" [4]. ينتمي الشيخ أبو حفص هذا إلى قبيلة هنتاتة [5] المصمودية و هي من أهم قبائل الموحدين و كانت بمثابة القوة الضاربة في حركة الموحدين إذ كانت معظم قبائل مصمودة تأتمر بأمرهم. و كان أبو حفص عمر زعيما لهنتانة و قام بدور متميز في قيام الدولة الموحدية [6] بحيث مهد لخلافة عبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ/1129م، و توفي أبو حفص عمر سنة 571هـ/1175م. و للشيخ أبي حفص العديد من الأولاد هم : إبراهيم و إسماعيل و محمد الذي أنجبه من ابنه عبد المؤمن بن علي و يحي و عيسى و موسى و يونس و عبد الحق و عثمان و أحمد و عبد الواحد و تمكن أبناؤه

---

[1]– عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج: 1 ، ص : 45.

[2]– هو الشيخ أبو حفص عمر من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة .انظر : المراكشي: المصدر السابق ص ص : 189-190 .

[3]– هو الإمام المهدي بن تومرت، عرف بإحاطته للعلوم في سن مبكرة و هو مؤسس الدولة الموحدية. انظر : الزركشي، المصدر السابق ، ص: 03 ابن الخطيب : الإحاطة بأخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : 02 ، 1973 ج : 1 ، ص : 321 .

[4]– انظر : المراكشي ، المصدر السابق ، ص : 190.

[5]– هنتاتة : موطنها عند جبل درن ، و هو جيل متاخم لمراكش بالمغرب الأقصى، انظر: ابن خلدون، ج 6، ص:562.

[6]– انظر: ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج : 1 ص : 321.

من تولي مناصب رفيعة في المغرب و الأندلس [1] غير أن أبا محمد عبد الواحد كان أوفر حظا، فأصبح كبير أشياخ الموحدين،و ذا نفوذ في قصورهم وبهذا تبوأ مكانة متميزة .

2-الظروف المساعدة في ظهور الحفصيين : ساهمت الظروف التي كانت تعيشها إفريقية في الربع الأخير من القرن السادس الهجري دورا كبيرا في ظهور الحفصيين[2]إذ كانت القبائل التي انتقلت إلى بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري تتحكم في معظم البلاد[3]هذا إضافة إلى انتقال الصراع الذي كان قائما بين بقايا المرابطين والموحدين في الأندلس إلى إفريقية ، وتعد ثورة ابن غانية [4] مظهرا من مظاهر هذا الصراع .

اغتنم بنو غانية انشغال الموحدين في حركة الاسترداد المسيحية [5] في الأندلس ، فقاموا بغزو بجاية التي سيطروا عليها في اليوم السادس من شعبان سنة 580هـ/1184م[6]، دون مقاومة تذكر والسبب في ذلك غياب وليها الموحدي السيد أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، وأول ما قام به علي بن غانية إقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر ، ومنذ ذلك

1- انظر : محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة،1964 ، ج: 2، ص : 381.

2- انظر: ابن غلبون:التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، نشره الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي المطبعة السلفية ، القاهرة، 1930،ص ص: 27 -28 .

3- نفسه : ص:28

4- ينسبهم المؤرخون إلى أمهم غانية من القبائل المرابطية الحاكمة وكان والدهم علي بن يوسف من أعيان قادة مسوفة (من قبائل الملثمين) وتربي ولداه يحي ومحمد في بلاط يوسف بن تاشفين ، وقد تزوجت أمهما بعد وفاة والدهما أبو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني والي قرطبة .انظر: المراكشي : المصدر السابق : ص ص : 151-153. ابن خلدون : المصدر السابق ، ج :6، ص ص : 505-507 .

5- عفيفي محمود إبراهيم : بنو غانية في بلاد المغرب ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1986 ، ص: 05 .

6-اعتمد هذا التاريخ كل من المراكشي (المعجب ص: 153) وابن أبي زرع الفاسي :(الأنيس المطرب بروض القرطاس ، دار المنصور، الرباط، 1973، ص ص: 268-269) والزركشي (تاريخ الدولتين ص: 15)

الوقت أصبحت بجاية منطلقا لنشاطه في إفريقية بعد تنصيب أخيه يحي واليا عليها.توسعت حركة علي بن غانية بالاستيلاء على مدينة الجزائر ، ومليانة[1]، وقلعة بن حماد[2] لكنه فشل في الاستيلاء على مدينة قسنطينة بالرغم من الحصار الشديد الذي ضرب عليها .

3-الموحدون وموقفهم من حركة بني غانية : جهز الخليفة الموحدي المنصور[3] حملة عسكرية برية و بحرية و اتجه بها إلى تونس ، و أسند قيادة الجيش البري إلى ابن عمه أبي زيد بن أبي حفص و الأسطول البحري لمحمد بن أبي إسحاق بن جامع ، و تمكن المنصور من استرجاع مدينة الجزائر و إلقاء القبض على واليها المرابطي : يحي بن طلحة ، و استعادة بجاية في شهر صفر من سنة 581 هـ / 1185 [4] ، ففر منها يحي بن غانية و التحق بأخيه علي الذي كان منشغلا بمحاصرة قسنطينة و حتى يجتنبان الاصطدام بالموحدين فرا وتوغلا في الصحراء .

و لم يهدأ للمنصور بالا ، فعمل على استرجاع جميع المدن الإفريقية التي وقعت تحت سيطرة بني غانية. فاسترجع مدينة قابس[5] ومدينة

---

[1]— مليانة: مدينة في أخر إفريقية من الناحية الغربية بينها وبين تنس أربعة أيام وهي مدينة قديمة جددها بنو زيري . أنظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : 1979، ج: 05 ، ص : 196.

[2]— قلعة بني حماد : بناها بنو حماد واتخذوها عاصمة لهم و تقع قرب آشير بإفريقية و تبعد عن بسكرة بمرحلتين و عن قسنطينة ببضعة أعوام و عن سطيف بثلاثة مراحل . أنظر : الياقوت الحموي المصدر السابق ، ج : 04 ، ص : 390 .

[3]— هو أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف عبد المؤمن بن علي بويع بالمحلة بعد وفاة والده يوم الأحد 19 ربيع الآخر سنة 580 و توفي ليلة الجمعة 12 ربيع الأول من سنة 595 .أنظر : الزركشي ، المصدر السابق ، ص: 162.

[4]— عفيفي محمد إبراهيم : المرجع السابق ، ص ص: 11-13 .

[5]— قابس: مدينة بإفريقية، تقع بين طرابلس وصفاقس ،تبعد عن الأولى بثماني مراحل وتبعد عن البحر بحوالي ثلاثة أميال. أنظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 289-290 .
أنظر: ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج4، ص ص: 289-290.

قفصة[1] ووضع على إفريقية واليا هو: أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن سنة 584هـ/1188م[2]، واتجه بأسطول بحري إلى الجزائر الشرقية ، منطقة حركة بني غانية واستولى على جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة 599 هـ/1202م أما جزيرة يابسة فقد ضمت منذ سنة 1187/583م .

عاد بنو غانية من جديد و تمكن زعيمهم يحيى من الاستيلاء على المهدية[3] وطرابلس[4] وقابس وصفاقس[5] وكل مدن الجريد بما فيها القيروان و تبسة[6] و بونة وناصر تونس مدة أربعة أشهر واستولى عليها يوم السبت السابع من ربيع الآخر سنة 600هـ/1203م [7] وألقى القبض على واليها الموحدي أبا زيد وولديه وجماعة من أشياخ الموحدين وولى عليها يحيى بن غانية أخاه : الغازي ثم أمر بالدعاء للخليفة العباسي إحياء لسنة المراطبين .

---

[1]— قفصة: بلدة صغيرة من الناحية الجنوبية الشرقية من إفريقية وهي من مدن بلاد الجريد تبعد عن القيروان بثلاثة أميال وتوزر بيوم ونصف .انظر: ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج: 4،ص ص : 382-383 .

[2]— المراكشي : المصدر السابق ، ص : 155

[3]— المهدية : مدينة تونسية تقع بين صفاقس وسوسة وهي مدينة ساحلية : انظر: محمد الهادي لعروق : أطلس الجزائر والعالم ، دار الهدى ، عين الميلة، ص : 45.

[4]— طرابلس: من مدن إفريقية تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر ومنها تبدأ إفريقية . ويعتبر قصر ابن ميمون آخر ما يتبع طرابلس من ناحية برقة .انظر: الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط:1، 1974،ص ص:389-390-608 .

[5]—مدينة بحرية بإفريقية تبعد عن المهدية بثلاثة أيام وعن قابس بثلاثة أيام أيضا وعن القيروان كذلك بثلاثة أيام انظر: ياقوت الحموي : المصدر السابق،ج:3، ص:223 .

[6]—تبسة: مدينة قديمة في إفريقية ، تبعد عن قفصة شرقا بست مراحل كما تبعد عن مدينة سطيف بست مراحل. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج:2،ص:13 .

[7]— التجاني : رحلة التجاني ،قدم لها حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية ، للكتاب ليبيا، تونس،1981 ص ص: 354-356 .

عاد الموحدون من جديد في عهد الخليفة الناصر[1] للتحرك في إفريقية للقضاء على حركة بني غانية ، إذ تمكن الناصر من استعادة مدينة المهدية عام 602هـ/ 1205م وعين عليها واليا اسمه محمد بن يعمور ، ثمّ أقنع الشيخ أبي محمد عبد الواحدلكي يكون واليا على إفريقية وأسند إليه الخليفة الناصر مهمة توطيد أمور إفريقية والتصدي لمختلف الحركات التي تسعى إلى تقويض الحكم الموحدي، مع توفير جميع الشروط التي تساعده على إنجاح هذه المهمة مثل: المساعدات المختلفة ، عدم التدخل في من يوليه أو يعزله ، اختيار بنفسه من يبقى معه من رجال الموحدين .

عمل الشيخ أبو محمد عبد الواحد على توطيد أمور البلاد وتنظيمها وإصلاح ما نتج عن الفوضى التي أحدثها بنو غانية وأتباعهم من البدو، فتحولت تونس فعلا إلى عاصمة إفريقية، وكان أبو محمد يجلس كل يوم السبت للنظر في أمور البلاد والعباد[2]. وتمكن الشيخ أبو محمد من قهر حركة بني غانية سنة 604هـ/1207م و طلب من الخليفة الناصر سنة 605هـ/1208م السماح له بالعودة إلى مراكش بعد أن استتب الأمن غير أن الخليفة تمسك به وبعث له بالأموال والخيل والكساء للإنفاق .

4-التطورات السياسية في إفريقية بعد وفاة الناصر وأبي محمد عبد الواحد :

توفي الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه المنتصر [3] في اليوم العاشر من شعبان سنة 610 هـ / 1213 م و استمر الشيخ أبو محمد في ولاية إفريقية حتى توفي يوم

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور بويع يوم وفاة والده وتوفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة 610هـ . أنظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 162 .

[2]- ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1968،ص : 106 .

[3]- هو أبو يعقوب يوسف المنتصر بن الناصر، بويع يوم وفاة أبيه وتوفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة سنة 620هـ . أنظر: الزركشي : المصدر السابق ، ص : 162 .

الخميس أول محرم 618هـ/1221م [1] واختلف أولو الرأي في اختيار من يخلف الشيخ ،فمنهم من فضل ابنه :

الشيخ أبا زيد عبد الرحمن و منهم من فضل ابن أخيه إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص ، و استقر الأمر في الأخير على ابنه أبي زيد [2] الذي لم تدم ولايته إلا ثلاثة شهور، إذ أدرك الخليفة المنتصر رغبة الحفصيين في الاستقلال بإفريقية ، فسارع إلى تعيين أبي العلاء بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن واليا على إفريقية على أن ينوب عنه الشيخ أبو إسحاق بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص لحين وصوله، و في نفس الوقت أرسل إلى أولادالشيخ أبي حفص يأمرهم بالعودة إلى مراكش .[3]

نستنتج مما سبق أن النظام الحاكم في مراكش كان يدرك و يتابع باهتمام حركة الحفصيين و أن اختيار أبي العلاء لتولية إفريقية كان الهدف منه تجريد الحفصيين من نفوذهم في إفريقية و فقدان ما حققوه في هذه المنطقة ، و هذا ما تبرزه الإجراءات [4] التي اتخذها أبو العلاء مباشرة بعد وصوله تونس، إذ أمر بالقبض على محمد بن أحمد بن النخيل كاتب الشيخ أبي محمد عبد الواحد و أخويه و مصادرة أموالهم ، ثم أمر بإعدام ابن النخيل و أخيه يحيى و قد نتج عن هذه التطورات ما يلي :

- – تجدد حركة بني غانية، فتحرك إليهم واليها سنة 620 هـ / 1223 م و طاردهم حتىأجلاهم إلى الصحراء .

- – تحول مجرى الحكم حيث عمل الوالي الجديد على إبعاد كل من يشم فيه رائحة الحفصيين .

---

[1]– الزركشي : المصدر السابق ، ص : 106 .

[2]– ابن القنفذ : المصدر السابق : ص: 106.

[3]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج :السادس ، ص : 588

[4]– نفسه : ص ص: 588- 589.

بعد وفاة أبي العلاء بتونس في شهر شعبان من عام 620هـ/1223م، عين ابنه أبا يزيد الذي نال التأييد من قبل الخليفة أبي محمد عبد الواحد المخلوع ،[1] و عموما تميزت فترة أبي زيد بما يلي :

- ضعف الولاء له مما أدى إلى ضعف الولاء للخليفة الموحدي .
- سوء سيرته بين الناس.
- لم يكن في حجم المنصب الذي أسند إليه .

هذا ما دفع الخليفة العادل[2] الذي تولى الخلافة سنة 621هـ/1224م إلى إقالته من منصبه في شهر ربيع الثاني سنة 623هـ/1226م و عين بدله بصفة مؤقتة أبو عمران موسى بن إبراهيم بن إسماعيل الحفصي في انتظار قدوم أبي محمد عبد الله ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد و من هنا نستنتج أن الخليفة العادل أدرك فعلا الدور الذي لعبته أسرة الحفصيين في استتباب الأمن في إفريقية و في قهر حركة بني غانية التي كادت أن تفقد الموحدين جزءا هاما من دولتهم .

5- استقلال الحفصيين بإفريقية : بدأ نفوذ بني حفص تعود إلى إفريقية ، بعد وصول أبي محمد عبد الله الحفصي و تعينه واليا على إفريقية في 17 ذي

1- هو أبو محمد عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع بعد وفاة يوسف المنتصر و خلع يوم السبت موفى عشرين شعبان من سنة 621 هـ فكانت خلافته ثمانية أشهر و تسعة أيام .انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 163 .

2- هو أبو محمد العادل بن يعقوب المنصور بعثت له البيعة حين خلع الأمين عبد الواحد و قتل خنقا في ثاني عشرين شوال سنة 621 هـ فكانت خلافته ثلاثة أعوام و ثمانية أشهر و عشرة أيام . انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 163.

القعدة سنة 623هـ/1225م [1] ، إذ ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس و الحامة و أبا إبراهيم بلاد قسطيلية [2] و سعى إلى قهر حركة بني غانية التي كانت تتجدد من حين إلى آخر خاصة في أواخر 623هـ/1225م و تمكنت من اقتحام بجاية ثم تدلس [3] و متيجة و مليانة و حتى مدينة الجزائر [4] ، و كان بنو غانية يعيثون فسادا أينما حلوا .

في منتصف 624هـ/1226م [5] ، انطلق الشيخ أبو محمد عبد الله من تونس لملاحقة بني غانية و تحرير ما استولوا عليه و وضع حدّ لنشاطهم الدّموي .

فهاجم القبائل التي وقفت إلى جانبهم ولا حقهم إلى نواحي سجلماسة [6] ثم عاد إلى تونس في شهر رمضان من نفس السنة ، ليبدأ في وضع الأسس الأولى للكيان السياسي الحفصي .

بعد مقتل العادل بمراكش سنة 624هـ/1226م ، خلفه يحيى المعتصم [7] ، لكن والي إشبيليا [8] بالأندلس أبا العلاء إدريس الموحدي تحرك صوب مراكش وتمكن من

---

[1]- ابن عذارى : المصدر السابق : ج 03 ، ص : 275

[2] – قسطيلية : منطقة بإفريقية تقع في بلاد الجريد (جنوب تونس حاليا)، و مدنها : توزر ، و الحامة و نفطة ، و تعتبر توزر أهم مدنها .أنظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 348 .

[3]– تدلس : مدينة ساحلية تقع بين بجاية و مدينة الجزائر و تبعد عن الجزائر بحوالي 66 ميلا و عن بجاية بحوالي 90 ميلا برا ، أنظر : الحميري :المصدر السابق ، ص : 132 .

[4]– الجزائر : مدينة على البحر ، بينها و بين بجاية أربعة أيام ، و تعرف بجزائر بني مزغنة .أنظر : ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص :132.

[5]– أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، الجزء : 6 : ص: 593 .

[6]– سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب الأقصى تقع على طرف بلاد السودان ، وتبعد عن فاس بعشرة أيام ناحية الجنوب . أنظر: ياقوت الحموي ، مصدر السابق، ج:3ص:192.

[7]– هوأبو زكرياء المعتصم بن الناصر، بويع في شوال ستة 624هـ بمراكش ثم خلع من حينه وبعثت البيعة المأمون بإشبيلية.أنظر: الزركشي : المصدر السابق : ص: 163. ابن عذارى : المصدر السابق : قسم الموحدين ، ص : 293 . ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ص : 594 – 595

[8]– إشبيليا: مدينة كبيرة بغرب الأندلس قريبة من البحر و تتصل به عن طريق الوادي الكبير . أنظر: ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج:1،ص:195 .

الاستحواذ على الخلافة وسمى نفسه بالمأمون ثم بعث إلى أبي محمد الحفصي يطلب منه الولاء له، وأخذ البيعة له من شيوخ الموحدين لولايته . ولما رفض أبو محمد طلبه ، اتصل المأمون بأخيه أبي زكرياء يحيى طالبا منه نفس ما طلب من أخيه أبي محمد . ولما وافق على طلب المأمون ، وأخذ له البيعة على قابس والحامة التي كانت تحت ولايته ، بعث له بالتقليد على إفريقية بدل أخيه أبي محمد وقد كسب أبو زكرياء في البداية تأييد ابن المكي [1] كبير أعيان قابس ، ثم أعلن ولايته على إفريقية في القيروان في رجب سنة 625هـ/1227م وعندما علم أخوه أبو محمد بهذه التطورات ، خرج من تونس صوب القيروان لمواجهته ، فلما بلغها تخلى عنه شيوخ الموحدين ، مدعين عدم موافقتهم على محاربته لأخيه فقبضوا عليه وبايعوا أخاه أبا زكرياء [2] وأجبروه على التخلي عن المطالبة بالولاية .

6-دور أبي زكرياء في تأسيس الدولة الحفصية : يتضح مما سبق أن ولاء أبو زكرياء للمأمون لم يكن إلا وسيلة لتولي الحكم في إفريقية ، ففي سنة 626هـ/1228م[3] أعلن عدم الولاء له وبدأ يدعو إلى يحيى المعتصم ابن أخ المأمون الذي كان ينافسه على الخلافة وأرسل إلى جميع عمال ولايته يأمرهم بخلع أبي العلاء سنة 627هـ/ 1229م[4] وتسمى "بالأمير " وأصبح يذكر في خطب الجمعة بعد اسم المهدي بن تومرت منذ سنة 634هـ/1236م .[5]

1- ابن المكي : من قبيلة لواتة البترية ، وكانت هذه الأسرة منتشرة في قابس وصفاقس وأقام بنو مكي إمارة مستقلة عن الحفصيين في قابس استمرت من قيام الدولة الحفصية إلى سنة 796هـ/1393.انظر: ابن خلدون : المصدر السابق ، الجزء : 6،ص ص : 945-957

2- الزركشي : المصدر السابق، ص: 23

3- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص : 293 .

4-انظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ج:06، ص ص . 594-595 .

5- نفسه ، ص:595 .

أعلن أبو زكرياء الاستقلال عن الدولة الموحدية مع الاحتفاظ بالدعاء للمهدي إبن تومرت [1]. وشرع في رسم حدود دولته وتثبيت سلطانه ، فاستولى على قسنطينة دون مقاومة في 26 شعبان من سنة 626هـ/1228م ، وأخرج منها حاكمها الموحدي : ابن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور ، ثم خلع أخاه أبا عمران من بجاية [2] و تمكن من إخضاع أعظم قبائل وادي شلف عنوة أو عن طيب خاطر ، وسارعت الدول النصرانية الكبرى مثل البندقية و جنوة إلى إبرام معاهدات حسن الجوار معه وتوقيع اتفاقيات تجارية[3] .

وفي غمرة الفوضى التي كانت تعيشها الدولة الموحدية ، ظهر أبو زكرياء كدعامة حقيقية للقوة الإسلامية ، إذ كان القوم في بلنسية وإشبلية وشريش وطريف وغرناطة [4] يخطبون خطبة الجمعة باسم أبي زكرياء. ابتداء من636هـ/1238م و في سنة643 هـ/1245م اعترف بنو مرين بالسلطة الحفصية و أبي زكرياء [5] خاصة بعد ما أرجع إلى الصواب الأمير يغمراسن صاحب تلمسان المتعنت في مساندته للخليفة الموحدي الرشيد وذلك سنة 640هـ/1242م .ويصف شارل أندري جوليان في كتابه: تاريخ إفريقيا الشمالية أبي زكرياء مؤسس الدولة الحفصية بما يلي : "وكان هذا الشاب الذي لم يبلغ السادسة والعشرين من سنه ابن أول الولاة الحفصيين على إفريقية وحفيد الشيخ أبي حفص المعروف . وقد جمع بين صيت عائلته وهيبة أبيه عندما حمى إفريقية من عمليات ابن غانية الحربية ، ولقد زاد على هذه المزايا الموروثة ثقافة مرضية سنة 647هـ/1249م كان قد قام بعمل وضبط للنفس بالغا وإقداما لا يخلو من تقدير للعواقب...وأخيرا توصل أبو زكرياء بسياسته الحكيمة مع

1- شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، الدار التونسية للنشر ، ص : 178

2- ابن عذارى : المصدر السابق، ص :293 .

3- شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص : 178 .

4- نفسه ، ص: 178.

5- نفسه ، ص : 178 .

شوال 639هـ/1241م[1] وصلها في نهاية شهر محرم سنة 640 هـ/1242 [2]. و تمكن من قهر الجيش الزياني الذي تصدى له أمام المدينة ، ثم دخلها . أما يغمراسن بن زيان فقد أفلت، من الحفصيين و لجأ إلى الجبال المجاورة لتلمسان مع عائلته و مجموعة من أنصاره.

و في طريق عودته نصب أبو زكرياء الحفصي شيوخ القبائل الزناتية بالمغرب الأوسط (مغراوة و توجين) [3] على أوطانهم ، بشرط أن تكون تبعيتهم المباشرة للحفصيين . و بهذا العمل يكون أبو زكرياء قد وضع حاجزا بشريا يفصله عن الخطر الموحدي في مراكش ، و أخضع الزيانيين للحفصيين إلى أن عزم الخليفة الموحدي أبو الحسن السعيد [4] على التمركز نحو إفريقية للقضاء على الدولة الحفصية في نهاية 645هـ/ 1247م [5].

د – العلاقات بين الدولتين إلى غاية نهاية الهيمنة الحفصية :

1– الولاء الزياني للحفصيين : يبدأ الولاء الزياني للحفصيين من الاتفاق

---

1 – أنظر : ابن غذارى : المصدر السابق ، ص : 361. الزركشي : المصدر السابق ، ص : 29.

2– أورد الزركشي أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أمام تلمسان أربعة وستين ألفا ، بينما أورد ابن عذارى أن التعداد بلغ عشرة آلاف . ويختلف الزركشي مع يحي بن خلدون وأخيه عبد الرحمن ، إذ يذكر أن وصول الحملة أمام تلمسان كان في شهر ربيع الأول سنة 640هـ/1242م ، وغلبنا الرأي الأول على اعتبار أن الحملة الحفصية حسب الرأي الثاني قد تكون قد استغرقت حوالي ستة شهور لتصل من تونس إلى تلمسان ، وهو ما لا يتفق مع المسافة الفاصلة بين المدينتين ، خصوصا وأن هذه الحملة لقيت كل التسهيلات في الطريق بانضمام القبائل إليها . انظر: يحي بن خلدون : المصدر السابق ،ج : 1 ، ص : 205. ابن خلدون : المصدر السابق ، ج: 6 ص ص : 608- 609 . الزركشي : المصدر السابق ، ص: 29 .

3– انظر: ابن عذارى: المصدر اسابق ، ص: 361 . قسم الموحدين

4– هو أبو الحسن السعيد بن أبي العلاء إدريس ، سبق تعريفه.

5– انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ص :360 – 361.

شوال 639هـ/1241م[1] وصلها في نهاية شهر محرم سنة 640 هـ/1242[2]. و تمكن من قهر الجيش الزياني الذي تصدى له أمام المدينة ، ثم دخلها . أما يغمراسن بن زيان فقد أفلت، من الحفصيين و لجأ إلى الجبال المجاورة لتلمسان مع عائلته و مجموعة من أنصاره.

و في طريق عودته نصب أبو زكرياء الحفصي شيوخ القبائل الزناتية بالمغرب الأوسط (مغراوة و توجين) [3] على أوطانهم ، بشرط أن تكون تبعيتهم المباشرة للحفصيين . و بهذا العمل يكون أبو زكرياء قد وضع حاجزا بشريا يفصله عن الخطر الموحدي في مراكش ، و أخضع الزيانيين للحفصيين إلى أن عزم الخليفة الموحدي أبو الحسن السعيد [4] على التمركز نحو إفريقية للقضاء على الدولة الحفصية في نهاية 645هـ/ 1247م [5].

د – العلاقات بين الدولتين إلى غاية نهاية الهيمنة الحفصية :

1– الولاء الزياني للحفصيين : يبدأ الولاء الزياني للحفصيين من الاتفاق

---

[1] –أنظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ص : 361. الزركشي : المصدر السابق ، ص : 29.

[2]– أورد الزركشي أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أمام تلمسان أربعة وستين ألفا ، بينما أورد ابن عذارى أن التعداد بلغ عشرة آلاف . ويختلف الزركشي مع يحي بن خلدون وأخيه عبد الرحمن ، إذ يذكر أن وصول الحملة أمام تلمسان كان في شهر ربيع الأول سنة 640هـ/1242م ، وغلبنا الرأي الأول على اعتبار أن الحملة الحفصية حسب الرأي الثاني قد تكون قد استغرقت حوالي ستة شهور لتصل من تونس إلى تلمسان ، وهو ما لا يتفق مع المسافة الفاصلة بين المدينتين ، خصوصا وأن هذه الحملة لقيت كل التسهيلات في الطريق بانضمام القبائل إليها . أنظر: يحي بن خلدون : المصدر السابق ،ج : 1 ، ص : 205. ابن خلدون : المصدر السابق ، ج: 6 ص ص : 608- 609 . الزركشي : المصدر السابق ، ص: 29 .

[3]– أنظر: ابن عذارى: المصدر اسابق ، ص: 361 . قسم الموحدين

[4]– هو أبو الحسن السعيد بن أبي العلاء إدريس ، سبق تعريفه.

[5]– أنظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ص :360 – 361.

الشهير الذي تم بين والدة يغمراسن "سوط النساء" و أبي زكرياء [1]، و اغتنمت الوالدة يومئذ هذه الفرصة و قدمت للسلطان اقتراحا يتضمن طلب العفو عن يغمراسن و السماح له بالعودة إلى رئاسة قومه من بني عبد الواد تحت طاعة الخليفة فأصغى لها أبو زكرياء ذلك كله بشروط تمت بينهما وعاد يغمراسن إلى تلمسان[2] . و رغم ذلك لم يكن أبو زكرياء يثق في يغمراسن، فأثناء عودته إلى تونس أسس عدة إمارات في بني توجين و مغرواة و نصب على رأسها أمراء بمراسيم سلطانية و أغدق عليهم من الأموال ما غمرهم به و جعلهم حاجزا بينه و بين خصومه و منافسيه فكانوا ردء المملكة و حصنها الحصين [3].

و رغم وفاة أبي زكرياء ليلة الجمعة 12 جمادى الثانية سنة 647هـ/1249م[4] فإن الزيانيين بقوا متمسكين بولائهم للحفصيين، فكانوا يرسلون أبناءهم و كبار رجال الدولة لتأكيده . كما استمر ولاء الإمارات التي أوجدها الحفصيون بالمغرب الأوسط، غير أن المستنصر الحفصي [5] اضطر إلى تجهيز حملة ضد مدينة مليانة لإعادة إخضاعها للنفوذ الحفصي سنة 659هـ/1260م، لكن لم يلبث الزيانيون أن استولوا عليها سنة 668هـ/1269م ، ثم خرجت مدينة الجزائر على الحفصيين سنة 664هـ/1265م [6].

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج : 6، ص : 607.

2- التنسي : المصدر السابق ، ص : 118.

3- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة بيروت، سنة 1980، ص : 50 .

4- انظر : الزركشي: المصدر السابق ، ص : 164.

5- هو أبو عبد الله المستنصر بن أبي زكرياء يحي بويع على بونة بعد وفاة أبيه و جدد بتونس يوم الثلاثاء، رجب من سنة 647هـ و مات يوم عيد الأضحى من مرض متطاول عام 675هـ. انظر : الزركشي، المصدر السابق، ص: 164.

6- ابن خلدون : المصدر السابق، ج: 6، ص ص : 656، ج: 07، ص: 208.

استغل بنو زيان الظروف التي طرأت على الدولة الحفصية خاصة بعد الحملة التي شنها الملك الفرنسي لويس التاسع على تونس [1] و حاولوا توسيع نفوذهم في المغرب الأوسط [2].

بعد وفاة يغمراسن خلفه ابنه عثمان الزياني (681-703هـ/1283-1303م) [3] الذي اتبع سياسة سامية مع المرنيين عملا بوصية أبيه رغم علاقة المصاهرة التي كانت قائمة بين الملك الزياني و أبي إسحاق إبراهيم الحفصي [4].

استولى ابن أبي عمارة [5] على الحكم في الدولة الحفصية سنة 681هـ/1282م و قتل أبا إسحاق مما دفع بابنه أبي زكرياء يحيى إلى الاحتماء بعثمان بن يغمراسن الزياني في تلمسان و بها بقي يتحين الفرص لاستعادة الملك[6].

و بعد وفاة أحمد بن أبي عمارة الحفصي سنة 623هـ/1284م، ارتحل أبو زكرياء يحيى خفية إلى بجاية فاستولى عليها في نفس الوقت تلك السنة، فانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين: القسم الشرقي عاصمته تونس أما القسم الغربي فعاصمته بجاية، و حاول أبو زكرياء الاستيلاء على تونس و قابس لكنه فشل في السيطرة عليهما مثلما فشل في الدخول إلى مبسراته شرق طرابلس على الرغم من التأييد الذي لقيه من قبائل المنطقة. و في ظل هذه الظروف، و في غياب أبي

1- ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 06 ص ص : 668 – 669 .

2- نفسه ، ج:6، ص : 669.

3- هو أبو سعيد عثمان تولى الحكم في سنة 681هـ/1283م إلى سنة 703هـ/1303م، و اشتهر بتحركاته شرق المملكة لإخضاع القبائل الثائرة عليه. أنظر : التنسي: المرجع السابق، ص: 129. ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 7، ص :671 .

4- هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواد ، ولد سنة 631هـ، دخل تونس يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر 678هـ و جددت له البيعة . أنظر : الزركشي : المصدر السابق، ص : 165.

5- هو أحمد مرزوق بن عمارة الدعي بويع يوم الخامس عشر ربيع الثاني من سنة 681، و توفي بمرض أصابه يوم الجمعة الرابع و العشرين من ذي الحجة سنة 683هـ. أنظر : الزركشي: المصدر السابق ، ص: 165.

6- ابن خلدون: المصدر السابق ، ج: 6، ص :699.

زكرياء الحفصي حاصر الزيانيون مدينة بجاية سنة 686هـ/1287م و جددوا بيعتهم لأبي حفص عمر [1] بتونس .

و مما يلاحظ على نشاط الزيانيين في القسم الغربي من الدولة الحفصية هو في الحقيقة عمل بالوصية [2] التي تركها يغمراسن بن زيان لابنه عثمان و هذا ما تيقن له محمد بن أبي زكرياء يحي بن المستنصر المشهور بأبي عصيدة [3] الذي سارع بعد توليه الحكم إلى إعادة بسط النفوذ الحفصي على القسم الغربي و أيد الحصار الذي ضربه المرينيون على تلمسان 698هـ/1298م [4] فاستغل الزيانيون هذا الموقف و أعلنوا عن إنهاء ولائهم للحفصيين نهائيا.

2- من الولاء التام إلى محاولة الاستقلال : حاول الزيانيون إنهاء ولائهم التام للحفصيين ، و ساعدهم في ذلك الظروف العامة التي ميزت المغرب مثل : انشغال المرينيين بمشاكلهم الداخلية عقب رفع الحصار بصفة كاملة عن تلمسان سنة 732هـ/1331م و انشغال الحفصيين بمشاكلهم الداخلية و خلافاتهم و الاضطرابات التي كانت تخص أطراف دولتهم الغربية [5].تمكن أبو حمو موسى الزياني [6] (707-718هـ/1308-1318م) من الاستيلاء على مدينتي دلس

1- تحالف أبو حفص عمر الحفصي مع الزيانيين و حاول استثمار غاراتهم على أراضي خصمه أبي زكرياء حاكم بجاية. أنظر : يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج1، ص : 209.

2- هي الوصية التي تركها يغمراسن لابنه عثمان يوصيه فيها بالجنوح إلى السلم مع بني مرين و توسيع أرجاء المملكة شرقا. و انفرد ابن خلدون بإيراد نص الوصية نقلا عن شيوخه على لسان الحاكم الزياني أبي حمو موسى بن عثمان. أنظر : ابن خلدون: المصدر السابق، ج:7، ص ص : 189- 190.

3- هو السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر المشهور بأبي عصيدة ، بويع سنة 693 هـ و توفي بمرض الاستسقاء يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأخر سنة 709هـ و لم يخلف ابنا ذكرا. أنظر : الزركشي :المصدر السابق ، ص : 165.

4- ابن خلدون : المصدر السابق، ج: 07، ص : 177.

5- ابن القنفذ : المصدر السابق ، ص ص: 156- 160.

6- هو أبو حمو موسى بن عثمان: أقام عماد الملك بعدما أشرف على الهلاك و قارع الثوار، و اقتحم الأنجاد و الأغوار.أنظر: التنسي: المصدر السابق، ص : 132.

و الجزائر سنة : 712هـ/1312م، في حين فشل أبو يحيى زكرياء اللحياني [1] حاكم تونس من استعادة بجاية سنة 711هـ/1311م مما دفع بأبي يحيى أبو بكر الحفصي حاكم المنطقة الغربية من الدولة الحفصية إلى توجيه السعيد بن يخلف رسولا إلى أبي حمو الزياني لتوطيد العلاقات بينهما ضد اللحياني .

و في كل مرة كان الزيانيون يحاولون بسط نفوذهم على القسم الغربي من إفريقية حتى تكتمل سيطرتهم على المغرب الأوسط، و استمرت هذه الحملات و تكررت حتى استيلاء المرينيين على تلمسان بعد حصارها سنة: 737هـ/1337م [2]. و في كل مرة كانت تفشل لعدة عوامل منها : ضعف وسائل الحصار، و انعدام النظام و التدريب الحازم في الجيش الزياني [3].

في عهد أبي تاشفين الزياني [4]، استأنفت الحملات الزيانية على الجزء الغربي من الدولة الحفصية و قد شجعه على ذلك لجوء بعض شيوخ القبائل إلى تلمسان مصطحبين معهم عبد الواحد بن محمد اللحياني الحفصي، حاكم مدينة المهدية [5] المفصل عن السلطة في تونس.

وضع أبو تاشفين تحت تصرف هؤلاء الشيوخ جيشا بقيادة : موسى بن علي الكردي فالتقى بالجيش الحفصي الذي كان يقوده أبو يحيى أبو بكر الحفصي

---

[1]– تولى الإمارة سنة 711 هـ و تنازل عن العرش لصالح ابنه سنة 717هـ ، أنظر : الزركشي، المصدر السابق، ص : 166.

[2]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج: 6، ص ص: 744 –745.

[3]– التنسي : المصدر السابق، ص: 143 يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص : 212 .

[4]– هو عبد الرحمن بن تاشفين ، تولى الحكم في سنة 718هـ/1318م إلى سنة 737هـ/1337م.أنظر يحيى بن خلدون :المصدر السابق ج : 01 ص : 139.

[5]– مدينة في ساحل إفريقية الشرقية، أمر ببنائها أبو عبيد الله بموضع يسمى "جمة" و تبعد عن القيروان بستين ميلا و يحيط بها البحر من ثلاث جهات. أنظر : الحميري : المصدر السابق، ص : 562.

برغيس قرب مرماجنة[1] في شهر شعبان سنة 724هـ/1323م، و أسفرت المعركة عن انهزام الجيش الزياني و فرار قائدها إلى تلمسان و هكذا فشلت الحملة من الاستيلاء على مدينة بجاية [2] .

لم يتقبل أبو تاشفين هذه الهزيمة، فجهز مرة أخرى حملة بعدما وفد عليه شيوخ من قبائل سليم [3] يستنجدون به ضد الحفصيين و مرة أخرى أوكل مهمة قيادة الحملة إلى موسى بن علي الكردي، و جمع أبو تاشفين كلمة وفد إفريقية على بيعة إبراهيم بن عبد الرحمن الحفصي (المعروف بابن الشهيد) [4] ، و تمكن الجيش الزياني هذه المرة من تحقيق الانتصار بالقرب من مدينة قسنطينة و تمكن ابن الشهيد الحفصي من دخول تونس بمساعدة قبائل سليم و استولى عليها في شهر رجب سنة : 725 هـ/1324م، لكن سرعان ما استعادها أبو يحيى أبو بكر الحفصي في شهر شوال 725هـ/1325م [5].

تواصلت الحملات الزيانية على الدولة الحفصية في سنة 726هـ/1325، و في سنة 728هـ/1327م [6]، تمكنت الجيوش الزيانية من محاصرة قسنطينة و الوصول حتى بونة [7] دون أي رد فعل حفصي حتى أن أبا تاشفين الزياني انتقل

---

[1]— مرماجنة : مدينة داخلية بإفريقية تقع بين بونة و قسنطينة. أنظر : مؤلف مجهول : الاستبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية بغداد، 1968، ص : 162.

[2]— ابن خلدون : المرجع السابق، ج: 6 ،ص ص: 763- 764.

[3]— يحيى بن خلدون : المصدر السابق، ج:1، ص: 217.

[4]— دامت فترة حكمه من رجب سنة 725هـ/1324م إلى شوال سنة 725هـ/1325م. انظر : ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، سنة : 1985، ص ص : 17- 18.

[5]— نفسه ، ص : 18.

[6]— يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج: 1، ص : 218.

[7]— بونة: (عنابة) : مدينة بإفريقيا تقع على البحر إلى الشرق من تونس و تعرف كذلك بمدينة العناب، انظر : ياقوت الحموي : المصدر ، ج:1، ص: 512.

بنفسه سنة 729هـ/1328م إلى نواحي بجاية لمعاينة الحصار المضروب عليها عن قرب [1].

لقد مكنت هذه الحملات المتعددة الجيش الزياني و لأول مرة من دخول تونس في شهر صفر سنة 730هـ/1329م و سلمت مقاليد الحكم لابن أبي عمران [2] لكن سرعان ما استعاد عاصمته السلطان الحفصي في شهر رجب من نفس السنة [3] ، و لوضع حد لمثل هذه الحملات استنجد السلطان الحفصي بأبي سعيد المريني ، فعقد الطرفان اتفاقية لمواجهة الزيانيين [4].

لقد أنهت هذه الاتفاقية متاعب الدولة الحفصية ، مما جعل سلاطينها يتفرغون لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعية و ذلك بتأديب القبائل التي تعاونت مع الزيانيين و إخضاعها إلى صف الدولة الحفصية [5]، و في المقابل اختفت الحملات الزيانية نتيجة السيطرة المرينية على عاصمتهم تلمسان : (737-749هـ/1336-1348م) [6] ، و اغتنم الحفصيون هذه الظروف لتثبيت أركان دولتهم و تقويتها، لكن سرعان ما انقسمت الدولة الحفصية ما بين : 754/758هـ-1353/1356 م [7] . و انشغل الزيانيون بإصلاح أمور بلادهم الداخلية، و أدت

1- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص : 218.

2- هو محمد بن أبي بكر صهر ابن اللحياني الحفصي و اشتهر باين أبي عمران و كان يعيش في البلاط الزياني منذ سنوات . انظر الزركشي: المصدر السابق ، ص : 65.

3- يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج: 1، ص: 218.

4- تمت هذه الاتفاقية خلال سنة 730هـ/1329م. انظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج:6، ص ص: 776-778.

5- نفسه، ص ص: 779- 785(أهم الإمارات شبه المستقلة التي كانت منتشرة في البلاد الحفصية و عاصمتهم قابس، و بنو ثابت و عاصمتهم طرابلس، و بنو يملول في توزر، و بنو خلف في نفطة ، و بنو مزني عاصمتهم بسكرة) انظر : بن خلدون : المصدر السابق ج : 06 ، ص ص : 779 – 785 .

6- الزركشي : المصدر السابق ، ص : 94 .

7- الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق و تعليق ولدي المؤلف جعفر و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1955،ج : 4، ص ص : 67 – 68.

هذه التغيرات السياسية إلى ظهور مواقف سياسية جديدة ، إذ عقد أبو إسحاق إبراهيم الحفصي و أبو حمو موسى الزياني معاهدة سلام [1]

و توج هذا التقارب بزيارة قام بها الأمير أبو عبد الله الحفصي إلى تلمسان في الثامن من جمادى الثانية سنة 764هـ/1362م [2].

استغل أبو عبد الله الحفصي[3] مصاهرته مع الزيانيين للتصدي لابن عمه أبي العباس ، و انتهى الصراع بينهما باستيلاء هذا الأخير على بجاية في نهاية سنة 767هـ/1365م [4]، و تمكن من توحيد الدولة. انشغل الحفصيون بتوطيد الأوضاع في بلادهم ، بينما لم تتغير النوايا الزيانية تجاه الدولة الحفصية و سياستهم التي وضع يغمراسن بن زيان خطوطها الرئيسية و نفدها خلفاؤه طبقا لوصيته [5]، و هذا ما يبرز في الكتاب الذي ألفه السلطان أبو حمو موسى الزياني (760- 791هـ/1359-1389م) خلال سنة 776هـ/1374م الموسوم بـ :"واسطة السلوك في سياسة الملوك [6]. و مهما يكن من أمر فإن أبا حمو الزياني سعى إلى تحقيق هذه السياسة منذ توليه الحكم بأشكال مختلفة، متحينا الفرص الملائمة و متابعا لأحوال الدولة الحفصية. غير أن ظروف الدولة الزيانية

1— لم تورد المصادر نص الاتفاق الذي أبرمه الزيانيون مع أبي إسحاق إبراهيم الحفصي بل اقتصرت على القول بأنه اتفاق سلام أنظر بن خلدون : المصدر السابق ج : 06 ، ص ص : 776 – 777 .يحي بن خلدون المصدر السابق ، ج :01 ، ص : 29 ، ج : 2 ، ص ص : 123 – 125 . ابن خلدون : التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا ، دار الكتاب اللبناني ، 1979 ، ص : 97 .

2—اعترض أبو إسحاق الحفصي على هذه الزيارة . أنظر : ابن القاضي : ذرة الحجال في غرة أسماء الرجال القاهرة، 1970، ج: 2، ص : 241.

3— صهر أبي حمو الزياني و منافس أبي العباس الحفصي على الحكم . أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق، ص ص: 854 – 855.

4— نفسه ، ج:6، ص : 760.

5— سبق تعريفها في هذا الفصل .

6— طبع هذا الكتاب في دار الطباعة العامرة ، تونس سنة 1862 و مما جاء فيه : " و كذلك ينبغي للملك أن يبغث عدوه من حيث لا يشعر به ، و يفاجئ العداوة و الذعارة في حال غفلتهم كما يفعل الموت ... ".

الداخلية[1] في هذه الفترة حالت دون تحقيق هذا الطموح ، إضافة إلى تحرشات بني مرين بها و تدخلهم في شؤونها الداخلية ، مما جعل الدولة تدخل في مرحلة الضعف، حيث غلبت عليها المشاكل، و تأثرت جميع المجالات فيها بآثار الجهد العسكري الذي بذلته منذ نهاية القرن السابع الهجري و تزامنت هذه الأعراض مع تولي حكام ضعاف مقاليد الحكم فيها [2].

هـ/ أثر الصراع الزياني – الحفصي على العلاقات الثقافية : تخضع الحياة الثقافية في أي عصر من العصور إلى عدة عوامل ، و من بين هذه العوامل الاستقرار السياسي و الأمني ، فإذا كانت السياسة غير واضحة و الأحوال الأمنية غير مستقرة، كأن تكون الدولة في حالة حرب مع جيرانها أو تعيش حربا أهلية نتيجة حكام ضعفاء و مستبدين برأيهم ، فإن هذه الدولة لن تكون أرضا خصبة للإنتاج الثقافي [3].

لقد تميزت العلاقات الزيانية- الحفصية طوال القرنين السابع و الثامن الهجري بالصراعات و الاضطرابات و اللااستقرار ، فهل أثرت هذه الوضعية على العلاقات الثقافية بين البلدين ؟ و ما طبيعة هذه التأثير ؟

لم تتأثر العلاقات الثقافية بين البلدين كثيرا مثلما تأثرت العلاقات السياسية و هذا في اعتقادنا راجع إلى عدة عوامل يمكن إجمالها في ما يلي :

1- عناية حكام كل دولة بالعلم و العلماء، التي كانت تقتضي الترحيب بالطلبة و العلماء و توفير الأمن للوافدين [4] : من الدولة الزيانية إلى الحفصية أو في

1- يقصد بها الاضطرابات القبلية . أنظر الزركشي : المصدر السابق، ص ص : 115 – 117.

2- التنسي: المصدر السابق ، ص ص : 180 –181.

3- دراجة أبو القاسم : العلاقات الثقافية بين المغرب و الأندلس ، مجلة بحوث، جامعة الجزائر، العدد : 2، سنة 1994، ص : 167 .

4- فعلا ، كانت الدولتان تسعيان دائما إلى العناية بالعلم و العلماء، لكن ليس على نفس الوتيرة ، و ذلك يعود إلى الظروف السياسية الداخلية و الخارجية، حيث كانت الاضطرابات الداخلية التي تنشأ في أي دولة، و الحروب

الاتجاه المعاكس، هذا فضلا عن الجوائز التي كان يمنحها الحكام للشعراء و بعض العلماء و الاعتماد عليهم في المهام الجسام .

2- إصرار الطلبة في كلا الدولتين على تحصيل العلم و انعقاد عزائمهم على ذلك و تفرغهم له ، فلم تكن تقف أمام الطلبة حدود الدولتين و لا مشقات السفر و لا متاعبه، فكل ما كان يهمهم الاستزادة من العلم و لقاء من اشتهر من الشيوخ في المملكتين [1].

3- عدم تأثر لوائح و شروط الالتحاق بالمؤسسات التعليمية في كلا الدولتين بحالات اللااستقرار التي تعيشها الدولتان أو بالحروب التي كانت تندلع بين الطرفين من حين لآخر، فهذه اللوائح و الشروط بقيت بسيطة و لم تميز بين أبناء البلدين [2].

4- ترحيب الشيوخ بكل طالب علم، و حريته في اختيار ما أراد من الشيوخ و حرية انتقال من شيخ إلى آخر لاستكمال التعليم .

5- الرحلة في طلب العلم في حد ذاتها ، حيث ساهمت في التأسيس لشبكة بناءة من الصلات الثقافية و عززها بين الطلبة و الشيوخ، و بين الشيوخ فيما بينهم و ذلك إما بطريقة مباشرة أو بالمراسلة [3]، فيتبادلون الكتب و الرسائل و

الخارجية تجد من اهتمام الأجهزة الحاكمة بهذا الجانب . انظر : ابن القاضي: ج: 2، ص ص : 280 –283 ابن بطوطة : المصدر السابق، ص ص : 18 –19. التنسي : المصدر السابق ، ص ص : 139 – 142.

1– نفسه: ص ص : 139 – 142.

2– التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، دار الكتب العلمية ، بيروت بدون تاريخ ، ص : 215.

3– من ذلك ، يذكر محمد بن محمد مخلوف أن أحد علماء المغرب الأقصى و هو أبو العباس أحمد الشهير بالقباب (توفي : 779هـ/1377م) لما كان عائدا من الحج التقى بتونس ابن عرفة الورغي أشهر علماء تونس (توفي 803هـ/1400م) في مجلس علم و مذاكرة، فقال له حول أحد مختصراته الفقهية " إن تأليفك لا ينتفع به المبتدئ لصعوبته و لا يحتاج إليه المنتهي" ، و كان وشيك الانتهاء من تأليفه ، فكان كلام القباب وراء بسط ابن عرفة العبارة في أواخر تأليفه، انظر : محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، دون تاريخ ، ج : 01 ص : 235.

الإجازات، فضمت تلك الشبكة في ثنايا الفئة المتعلمة في المجتمعين : الحفصي و الزياني.

6- تحول بلاد المغرب الأوسط إلى منطقة عبور بالنسبة للوافدين من الأندلس و المغرب الأقصى في اتجاه الدولة الحفصية ، فكانوا يصطحبون معهم الطلبة الزيانيين [1].

7/- استقرار العديد من الشيوخ في الدولة الأخرى، كمثل : أبي العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى من الدولة الزيانية ، حيث علم في بجاية اللغة العربية و الفقه و أصول الدين و التصوف [2] ، أو أبي موسى عمران المشدالي البجائي، الذي ارتحل إلى تلمسان في حوالي سنة 727هـ/1326م فأسند إليه الزيانيون التدريس بالمدرسة التاشفينية، بتلمسان، فأخذ عنه الكثير من طلبتها و برز هذا الشيخ في الحديث و الفقه و المنطق و الفرائض [3] .

و تتجلى مظاهر عدم تأثر العلاقات الثقافية بالأوضاع السياسية المضطربة في البلدين و بالحروب التي كانت تندلع من حين لآخر في تلك الحركة الواسعة من الوافدين إما من الدولة الزيانية نحو الدولة الحفصية أو من هذه الأخيرة نحو الدولة العبد الوادية [4]. و لم يكن هؤلاء الشيوخ ليستقروا و فقط ، بل كانوا يتولون مسؤوليات مهمة مثل أبي فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف الذي تولى القضاء في بجاية و قسنطينة [5] ، و هذا في اعتقادنا دليل آخر على متانة العلاقات الثقافية

1- الحميري: المصدر السابق ، ص :538.

2- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق، ج:1، ص: 202.

3- نفسه ، ج 1: ص :202.

4- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف (جزءان في مجلد)، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة ، تونس : 1985 ج: 2، ص ص : 194 – 195. المقري : المصدر السابق ، ج: 7، ص : 148 – 198.

5- ولد في تلمسان سنة 602هـ/1203م و توفي في الجزائر سنة 686 هـ/1287 م، رحل إلى بجاية و تلقى معظم تعليمه عن شيوخها ، كان ظليعا بالفقه حتى قيل عنه "خزانة مالك" عكف على التدريس قبل تولي القضاء.

التي لم تتأثر كثيرا بما كان يجري على الساحتين السياسية و العسكرية بين الدولتين .

أنظر : الغبريني : عنوان الدراية ، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981، ص ص : 91-92 .

الفصل الثاني

أصـــــناف العلـــوم و منـــاهج التعـــليم .

أ- أصـــناف العـــلوم .

1 - العـــلوم النقـــلية.

- العـــلوم الديـــنية .
- العـــلوم اللســانية .

2- العـــلوم العقـــلية .

- عـــلم المنـــطق .
- العـــلوم الطـــبيعية .
- عـــلم التوحـــيد .
- عـــلم المقـــادير .

ب- منـــاهج التعـــليم :

1- مناهج التعليم في مرحلة التعليم الابتدائي .

2- مناهج التعليم في مرحلة التعليم العالي .

ج- أهم العلماء الذين اشتهروا في مختلف العلوم

1- علـــماء الدولـــة الزيـــانية .

2- علمـــاء الدولـــة الحفـــصية .

أ- **أصناف العلوم** : شهدت الفترة الممتدة من القرن السابع إلى التاسع الهجريين ، انتشار الكثير من العلوم ، كان يتم تعليمها في مختلف أنحاء الدولتين [1] و لقد اعتمدنا على ابن خلدون في ترتيبها ، و ربما قد نتساءل لماذا ابن خلدون ؟ لأنه عاش في نفس البيئة و عايش مختلف التيارات الفكرية و المناهج التعليمية و من هنا تأتي أهمية الأخذ بترتيب هذا العلامة . و عموما كانت العلوم تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

1- العلوم النقلية : و يمكن تصنيفها إلى صنفين رئيسيين و هما[2] :

- **العلوم الدينية** : و هي العلوم الشرعية التي تتخذ القرآن الكريم و السنة أساسا لها و هي :

- **تفسير القرآن الكريم** : اهتم الزيانيون و الحفصيون بدراسة القرآن و حفظه و تفسيره ، فكانوا يدرسونه في الكتاتيب و المساجد و المدارس ، و قد انقسم مفسرو القرآن الكريم إلى اتجاهين أساسيين[3] :

1- **الاتجاه الأول** : هو التفسير المأثور أو المنقول و يستند إلى الآثار المنقولة عن النبي صلى الله عليه و سلم و السلف ، و هي معرفة الناسخ و المنسوخ[4] و أسباب النزول و مقاصد الآيات و كل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة و التابعين.[5]

---

[1] – ابن خلدون : المقدمة ، ج : 2 ، ص : 525 ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، سنة 1984 ، تونس

[2] – نفسه ، ص: 525 .

[3] – نفسه ، ج : 2 ، ص ص : 531، 532 .

[4] – عاشور بوشامة : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس 627 – 981 هـ / 1228– 1573م رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، سنة 1991.

[5] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ص : 530 .

2- الاتجاه الثاني : يقوم هذا الاتجاه على الرأي و الاجتهاد ، و لا يتحقق ذلك إلا بمعرفة اللغة العربية و إتقانها و الدراية بالبلاغة و الإعراب و البيان ، حتى يتمكن المفسرون من تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب لأن القرآن نزل بها.[1]

- **علم القراءات** : و يتضمن عدة فروع ، هي : فن القراءات، و فن الرسم و يتناول أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطية،لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط .

- **علوم الحديث** : يراد بعلم الحديث حفظ ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل و ما نقل عن أصحابه ، و قد ظهر علم الحديث عند اهتمام المسلمين بنقل سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه و سلم [2].

لقد اهتم الحفصييون و الزيانيون بهذا النوع من العلوم الدينية نظرا لما للحديث من قيمة كبرى في الدين الإسلامي تلي مرتبة القرآن الكريم ، زيادة على ذلك فإن تفاصيل حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و ملامح شخصيته و سيرته ذات أهمية كبرى في حياة المسلمين العلمية و الإقتداء به في حياتهم الخاصة كما هو واضح في قوله تعالى :" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة "[3].

- **الفرائض (المواريث)** : و هو علم يجمع بين المنقول و المعقول لاحتياجه لفنون الحساب كالجبر و المقابلة و التصرف في الجذور.[4]

- **أصول الفقه** : و هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث كونها تؤخذ منها الأحكام و التكاليف و أصول الأدلة الشرعية .

---

[1] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 531 . عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 483 .

[2] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 534 .

[3] – القرآن الكريم ،سورة الأحزاب ، الآية: 20 .

[4] – عاشور بوشامة : المرجع السابق، ص : 411 . ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 549.

- **علم التوحيد** : هو علم يبحث عن وجود الله و ما يجب أن يثبت له من صفات و ما يجوز أن يوصف به و ما يجب أن ينفى عنه، و عن الرّسل لإثبات رسالتهم و ما يحب أن يكونوا عليه ، و ما يجوز أن ينسب إليهم و ما يمتنع أن يلحق بهم .[1]

و أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، و يثبت هذا العلم كذلك الوحدة لله في الذات و الفعل و في خلق السماوات و الأرض و يبرهن على أن الله مرجع كل شيء و منتهى كل قصد و الغاية العظمى من دورة الأفلاك و ما شابهها .

- **علم الكلام** : ظهر هذا العلم كنتيجة لظهور الحاقدين على الإسلام و كان هذا العلم بمثابة انقلاب فكري في تاريخ الأمة الإسلامية بصفة عامة. و سمي بعلم الكلام لأن أهم مسألة وقع الخلاف فيها هي كلام الله " القرآن الكريم " ، و هو علم أشبه بالمنطق ، و كان يتناول المسائل المعقدة و الدقيقة مثل التوحيد و الآخرة و الصفات الإلهية و الخير و الشر و حقيقة النبوة و خلق القرآن و ما إلى ذلك [2].

- **علم التصوف** : و يقصد به العبادة و الزهد، و الغاية من التصوف هي البعد عن الدنيا و التحكم في النفس حتى تقضي على القوى الحسية . و لقد انتشر هذا العلم في الدولتين و في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة ، و السبب في ذلك

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 584 . الأخضر عبد لي: المرجع السابق،ص : 229 .

[2]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 757 .

هو رد الفعل للحركة الدينية الإصلاحية التي عمل الموحدون على تطبيقها في دولتهم و تندرج هذه الحركة في إطلاق حرية البحث و التفكير.[1]

- **علم الفقه** : عرفه ابن خلدون بقوله " هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب و الحظر و النّدب و الكراهة و الإحابة و هي متلقاة من الكتاب و السنة ، و ما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه ".و يتناول الفقه جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و يضع القواعد التي تنظم حياته .[2]

و تعددت الاتجاهات الفقهية و ظهر النـــزاع بين أصحاب الاجتهاد و الرأي و أصحاب الحديث . و اقتصر أهل الدولة الحفصية و الزيانية على اتباع مذهب مالك بن أنس [3] لأن رحلتهم ، كانت تتجه نحو الحجاز أكثر من غيره ، و هو منتهى سفرهم في الغالب لأداء فريضة الحج و زيارة البقاع المقدسة و كانوا أميل إلى مذهب الحجاز مهد السنة، لما يتصفون به من فطرة و بداوة مثل الحجازيين.[4]

و لا يمكن الاستفادة من كل هذه العلوم إلا إذا كان الطالب ملما بعلوم اللسان العربي و هي علم اللغة و علم النحو و علم الأدب و حتى الحساب التي كانت تعد مادة يجب على الطالب إتقانها خاصة في الفرائض و المواريث . و كانت العلوم الدينية في الدولتين تلقى اهتماما كبيرا قياسا بالعلوم الأخرى ، نظرا للاحترام

---

[1] – ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 584 .

[2] – نفسه ، : ج : 2 ، ص : 541 .

[3] – مالك بن أنس من الأئمة الأربعة ، صاحب " الموطأ " توفي سنة 179 هـــ/ 769 م .انظر : عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج : 2 ، ص : 446 . ابن خلدون : المصدر السابق ، ج:2 ، ص : 543 .

[4] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 547 .

الذي كان يكنه عامة الناس للمتخصصين فيها هذا من جهة و من جهة أخرى فإن أصحابها كانوا يشتغلون في مناصب مهمة مثل القضاء.[1]

– **العلوم اللسانية** : و يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام :

- **اللغة العربية** : اللغة العربية من أرقى و أسمى اللغات السامية ، لأنها تتميز بكثرة المفردات و تتصف بالمرونة و القدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها و ساهمت الحركة الدينية في كلتا الدولتين على تطوير اللغة العربية و لا سيما الفقه و الحديث و التفسير فقد كان الفقهاء يختصرون و يفسرون و يعلقون و ينظمون الأراجيز و يشرحون الكتب الصعبة و يحللونها و ينتقدونها و يكملونها بالتذييل عليها ، فكانت هذه الحركة العلمية الثقافية عاملا أساسيا في تطوير اللغة العربية في تلمسان و تونس.[2]

- **الأدب** : و كان يشمل النثر و الشعر ، فالأول قول غير موزون و الثاني قول موزون و مقفى، و يعرف ابن خلدون الأدب بقوله " أعلم أن لسان العرب و كلامهم على فنّين ، في الشعر المنظوم و هو الكلام الموزون المقفى و معناه الذي تكون أوزانه كلها على رويّ واحد و هو القافية ، و في النثر و هو الكلام غير الموزون و كل واحد من الفنيين يشتمل على فنون و مذاهب من الكلام".[3]

---

[1] – عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 412 .

[2] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 714 ..

[3] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 736

● **النـــثـــر** : قسم القدماء النثر إلى أشكال أدبية ، فابن خلدون مثلا ، يقسم النثر إلى نثر مرسل مسجع بقوله " و أما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ، و منه المرسل و هو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا و لا يقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالا من غير تعبير بقافية و لا غيرها و يستعمل في الخطب و الدعاء و ترغيب الجمهور و ترهيبهم "[1] و انحصرت الأعمال النثرية في مدينة تلمسان في الرسائل و الكتب التاريخية و الأدبية ، نظرا لاندثار معظم الأغراض النثرية الأخرى[2] خاصة فن المقامات و الخطب . و عرف النثر ازدهارا كبيرا في هذه الفترة و عرف تطورا محسوسا من حيث الكم و الكيف ، بتأثير عدة عوامل منها :

– معظم ملوك الدولة الزيانية كانوا من العلماء و الأدباء و بذلك عملوا على تطوير هذا النوع الأدبي .

– الطبيعة الخلابة التي كانت عليها مدينة تلمسان و التي أثرت فيه تأثيرا بالغا و وسمته بمسحة الجمال و وشحته بسحر نظرتها الخلابة [3].

تأثر فن النثر في تلمسان بعدما حلّ المهاجرون الأندلسيون ، إلا أنه لم يفقد شخصيته و أصالته المغربية و ما تميز به من خصائص [4] . و اشتهر في هذا المجال أدباء و كتاب كثيرون مثل : أبي بكر بن خطاب المرسي الأندلسي (ت 688 هـ/ 1289 م) الذي خلف من ورائه أثرا كبيرا في فن الكتابة بمدينة تلمسان في عهد يغمراسن[5] ، و اشتهر أبو بكر بن الخطاب في الترسل و الكتابة الفنية ، و شغل في

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 736.

[2] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 456.

[3] – الأخضر عبدلي :المرجع السابق ، ص : 251 .

[4] –نفسه ، ص : 252 .

[5] – التنسي : المصدر السابق ، ص : 127 .

غرناطة ديوان الرسائل ثم انتقل إلى مدينة تلمسان ، فجعله يغمرا سن : صاحب القلم الأعلى في بلاطه.[1] كما اشتهر في هذا الفن في تلمسان : ابن مرزوق الخطيب و المقري الجد و الشريف التلمساني و الآبلي و محمد بن هدية القرشي[2] ، و يحي بن خلدون و محمد يوسف الثغري ، في عهد أبي حمو موسى الثاني [3] و علي بن مسعود الخزاعي الملقب بذي الوزارتين [4] و أبو عبد الله بن مدورة [5]، و محمد بن علي العصامي [6] و محمد بن صالح بن شقرون [7] و أبو القاسم بن ميمون السنوسي [8] و أبو الحسن علي بن العطار[9] .

و قد انحصر النثر في الدولة الزيانية في الرسائل الفنية التي يمكن تقسيمها إلى الرسائل الديوانية أو الرسمية و الرسائل الأدبية أو الإخوانية و الرسائل أو القصائد النبوية[10]. عرف فن النثر هو أيضا ازدهارا و تطورا في الدولة الحفصية و وشحوه بجمال رائع و رصعوه بمعان بليغة و صاغوه بأسلوب جميل و زينوه بالتشبيهات و الاستعارات و العبارات الأنيقة و الدقيقة و وضعوه في قالب سجعي ساحر تضمن أحيانا آيات قرآنية و أحاديث نبوية و أشعارا و أمثالا . و تأثرت فنون النثر هي أيضا بالوافدين الأندلسيين من أدباء و مؤرخين كما تأثرت بالأدب المشرقي خاصة و أن العديد من أدباء الدولة الحفصية رحلوا إلى المشرق لاستكمال

---

[1] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 456 .

[2] – يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 210- 213 .

[3] – التنسي : المصدر السابق ، ص : 148 .

[4] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 238 .

[5] – التنسي : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 215 .

[6] – نفسه ، ص : 315 .

[7] – نفسه ، ص : 143 .

[8] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 457 .

[9] – نفسه : ج : 2 ، ص : 457 .

[10] –نفسه : ج : 2 ، ص : 457 .

دراستهم . و من أشهر الكتاب الذين برعوا في فن النثر في الدولة الحفصية نشير إلى:

- أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي ، اشتهر بتفسيره المتفنن و له شرح على البخاري مشهور سماه :" المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح " و اشتهر هذا الإمام برشاقة عباراته[1] .

- القاضي شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر القيسي القفصي عرف ببراعته في الأدب و علوم الأوائل توفي في القاهرة سنة 651 هـ.[2]

- أبو العباس أحمد بن عثمان المليانى ، كان فقيها و أديبا و اشتهر أكثر في المجال الأدبي و توفي سنة 659 هـ.[3]

- أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم القرشي التميمي التونسي له العديد من المؤلفات النثرية مثل :" الإسعاد في شرح الإرشاد " و " شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي " و " شرح التلقين " ، و " شرح الأسماء الحسنى" و " شرح العقيدة البرهانية " و له كتاب " مناهج المعارف إلى روح المعارف " و توفي سنة 662 أو 663[4] .

- أبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي ، ألف المترجم و له رسالة في موجبات مغيب الحشفة و توفي في شعبان سنة 710 هـ و قيل سنة 716 هـ[5].

---

[1] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ج: 2 ، ص : 168 .

[2] – نفسه ، ص : 170 .

[3] – نفسه ، ص : 189 .

[4] – نفسه ، ص : 190 .

[5] – نفسه ، ص : 205 .

● **الشعر** : هو فن من فنون كلام العرب و هو المسمى بالشعر عندهم و يوجد في سائر اللغات ، و هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة و تسمى كل قطعة من هذه القطع عندهم بيتا و يسمى الحرف الأخير الذي تتفق به رويا و قافية ، و يسمى جملة الكلام إلى آخره : قصيدة [1].

لقد عرف الشعر ازدهارا كبيرا سواء في الدولة الزيانية أو الحفصية ، و قد ساهمت عدة عوامل في تطوره منها :

1- الاهتمام و الرعاية و الاحترام التي كان يبديها ملوك الدولتين للشعراء خصوصا و العلماء و الأدباء عموما .

2- العديد من ملوك الدولتين كانوا يقرضون الشعر و يتقنون صناعته.[2]

3- المناظر الطبيعية الخلابة الموجودة في الدولتين ، و هذا ما نلمسه في عدة قصائد شعرية تصف هذه المناظر. [3]

4- الأحداث التي طبعت و ميزت هذه الفترة و التي ساهمت في شحذ قرائح الشعراء و تفجير مواهبهم و إرهاف إحساسهم.

5- الاتصالات التي كانت تحدث بين شعراء الدولتين و شعراء الأندلس و المشرق و إطلاعهم على مختلف النماذج الشعرية مشرقية كانت أو أندلسية .

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 : ص : 739 .

[2] – الأخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص : 241 .

[3] – نفسه ، ص : 241.

و من أشهر الشعراء في الدولة الزيانية :" ابن مرزوق الخطيب" الذي قرض شعرا رائعا كما جاء في رائيته ليلة الميلاد :[1]

قُلْ لِنَسِيمِ السَّحَـــرِ ∴ لِلّهِ بَـــلِّغْ خَـبَرِي

إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْحَصَى ∴ جَرَرْتَ فَضْلَ المِئْـزَرِ

ثُمَّ جَثَتْ الْخُضْرَةَ مِنْ ∴ فَوْقِ الْكَثِيبِ الأَعْفَـرِ

و من قصائد السلطان أبي حمو موسى الثاني المولدية الحائية التي افتتحها بأبيات غزلية بلغت درجة كبيرة من الجمال الفني و التصور الشعري الصادق و مما جاء فيها :

مَشُوقٌ تَزَيّا بِالْغَرَامِ وِشَاحَا ∴ مَتَى مَاجَرَى مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَةِ صَاحَا

تُعَذِّبُهُ أَشْجَانُهُ وَ هُوَ صَابِرٌ ∴ وَ يُبْدِي اشْتِيَاقًا زَفْرَةً وَ نَوَاحَـا[2]

و لكسب ودّ الملوك و الحصول على العطايا لجأ الشعراء إلى مدح الملوك مثل الشاعر الطبيب أبي عبد الله التلاليسي الذي مدح أبا حمو موسى الثاني في عدة مناسبات و مما قاله :

مِنَ الزَّابِ وَ افَانَا عَزِيزًا مُظَفَّرًا ∴ يَجُرُّ مِنَ النَّصْرِ الْمُنَوطِ بِهِ ذَيْلاَ

بَدَتْ لِمَلِيكِ الْغَرْبِ شِدَّةُ بَأْسِهِ ∴ وَ إِنْعَامِهِ لِلْمُعْتَفِينَ وَ مَا أَوْلَى

فَبَادِرْهُ بِالصُّلْحِ خَوْفَ فَوَاتِهِ ∴ وَ سَالِمْهُ إِذْ كَانَ ذَاكَ بِهِ أَوْلَى[3]

---

[1]— الأخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص : 242 .

[2] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص ، 463 .

[3] — محمد بن عمر الطمّار : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : 1969 و 1973 . ص : 241 .

كما استهوت مدينة تلمسان عدة شعراء و منهم الأديب و الفقيه : أبا عبد الله محمدا بن خميس[1] الذي وصف المدينة قائلا :

تِلِمْسَانُ جَادَتْكِ السَّحَابُ الدَّوَالِخُ ∴ وَأَرْسَتْ بِوَادِيكِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ

وَسَحَّ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهَا ∴ مَاءٌ يُصَافِي تُرْبَهَا وَيُصَافِحُ

لِسَاقِيَةِ الرُّومِي عِنْدِي مَزِيَّةٌ ∴ وَإِنْ رَغِمَتْ تِلْكَ الرَّوَاسِي الرَّوَاشِحُ

فَكَمْ لِي عَلَيْهَا مِنْ غُدْوَةٍ وَرَوْحَةٍ ∴ تُسَاعِدُنِي فِيهَا الْمُنَى والْمَنَائِحُ[2]

أما عن الدولة الحفصية فاشتهر العديد من الشعراء الذين نظموا الشعر في أغراض وأوزان مختلفة . و مثل شعراء الدولة الزيانية ، تقرب شعراء الدولة الحفصية من الملوك والأمراء ومدحوهم مثل الشاعر ابن عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عربية الذي مدح أبا زكرياء الحفصي قائلا :

ذَكَرْتُ جَنَّةَ وَالذِّكْرَى تَهِيجُ لِي ∴ وَأَيْنَ حَجَّةُ مِنِّي وَالْمُسْتِيرُ

وَمَا مُنَايَ لَيَالِيهَا الَّتِي سَلَفَتْ ∴ وَمَا مُنَايَ مَعَانِيهَا الْمُعَا طِيرُ

لَكِنَّ بِهَا رَحِمٌ مَجْفُوَّةٌ يَئِسَتْ ∴ مِنْ أَنْ تُقَرِّبَنِي مِنْهَا الْمَقَادِيرُ[3]

---

[1] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 465 .

[2] – يحيى ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 86 – 87 .

[3] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 190.

وأبو محمد عبد الحق بن سبعين الذي مدح المستنصر ومما جاء في قصيدته :

إِهْنَأْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَيْعَـــةٍ ∴ وَافْتَكَ بِالإِقْبَالِ وَالإِسْعَادِ

فَلَقَدْ حَبَاكَ بِمُلْكِهِ رَبُّ الوَرَى ∴ فَأَتَى يُبَشِرُ بِافْتِتَاحِ بِـــلَادِ

إِذَا أَتَتْ أُمُّ الْقُرَى مُنْـــقَادَةً ∴ فَمِنَ الْمُبَرَّةِ طَـــاعَةُ الْأَوْلَادِ [1]

كما أنشد ابن الآبار [2] أبا زكرياء في قصيدة مطلعها :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْـــلَ اللهِ أَنْدَلُـــــسَا ∴ إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَـــا

وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ ∴ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمِسَا [3]

● **التاريخ** : اهتم الزيانيون والحفصيون بالتاريخ لتسجيل أيامهم وغزواتهم و فتوحاتهم حتى لا تضيع تفاصيلها وتبقى راسخة في الذاكرة ، فظهرت في هذا المجال كتب السير و المغازي ، وكتب الأنساب والأمم والأديان والتراجم والطبقات والحوليات والتواريخ المحلية والخطط وغيرها من المصنفات ذات الصلة بعلم التاريخ[4] و من أشهر المؤرخين الزيانيين : أبو زكرياء يحي بن خلدون الذي

---

[1] – محمد بن محمد مخلوف : التتمة ، ص : 144

[2] – هو الكاتب والفقيه الشهير أبو عبد الله بن أبي بكر بن الأبار القضاعي ، وهو الشاعر الذي قتله الخليفة المستنصر بعدما عثر في منزله قصيدة مما جاء فيها :

طفى بتونس خلف ∴ سموه ظلما خـــــليفة

عق أباه وجفا أمه ∴ ولم يقل من عشرة عمه

أنظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص ص : 35-36 . الغبريني : المصدر السابق ، ص : 258 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، التتمة ، ص : 144

[3] – الزركشي : المصدر السابق ، ص : 36.

[4] – عبد العزيز سالم : التاريخ و المؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، الاسكندرية 1967 ، ص ص: 66- 71 .

ألف بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواحد و فيه أشار إلى نشأة الدولة العبد الوادية إلى عصر المؤلف و الظاهر أنه قام بتصنيفه بطلب من السلطان أبي حمو موسى الثاني بغرض تخليد أمجاد الدولة العبدو الوادية [1].

و قسم يحيى بن خلدون كتابه إلى ثلاثة أقسام و اشتمل كل قسم على ثلاثة أبواب و امتاز أسلوبه بدقة الوصف و براعة التصوير و سعة الخيال في اختيار الألفاظ و مزجها بالمحسنات البديعية مما يدل على نبوغه في فنون الأدب [2]

كما اشتهر في التاريخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالخطيب و صاحب : " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن" [3] و الذي خصصه للسيرة الذاتية للسلطان أبي الحسن المريني و تخللته بعض الأحداث التاريخية العامة لبني زيان و بني مرين[4]. و أظهر ابن مرزوق الخطيب في كتابه بعض المواقف و المنجزات العسكرية و الحضارية التي تمت في عهده في المغرب الأقصى و الأوسط وقسم كتابه إلى مقدمة و جعلها في عدة فصول أما المتن فبوبه في خمسة و خمسين بابا تتحدث كلها عن خصال هذا السلطان ، أما الخاتمة فضمنها هي الأخرى عدة فصول تعرض في بدايتها إلى لقائه بأبي الحسن في قرية العباد [5]، هذا إضافة إلى الحافظ محمد بن عبد الله التنسي صاحب" نظم الدر و العقيان في بيان شرف

---

[1] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص : 467.

[2]– يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 20-40 .

[3] – نفسه ، ص : 467.

[4] – نفسه ، ص : 467 .

[5] – إبن مرزوق : المسند الصحح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص ص : 485 – 487 .

بني زيان " ، و" زهر البستان في دولة بني زيان " لمؤلف مجهول عاش في كنف الدولة الزيانية [1].

أولى الحفصيون أهمية كبيرة للتاريخ إذ برز عدة مؤرخين سخروا أقلامهم في هذا الاتجاه خاصة الذين تولوا مناصب سامية في دواوين الدولة و هي المناصب التي ساعدتهم على أن يكونوا قريبين من مصدر الخبر و الأحداث و في متناولهم أرشيف الدولة و وثائقها و من أشهر مؤرخي الدولة الحفصية : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي صاحب " تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية " و الذي خصص فيه قسما للدولة الحفصية [2]، مبينا فيه الكيفية التي بويع فيها الولاة الحفصيون و أهم الأحداث التي ميزت الفترة التي حكم فيها كل وال[3] .

و من المؤرخين الذين اهتموا بكتابة التاريخ : أبو محمد عبد الله بن الشيخ بن أبي القاسم بن البراء التنوفي[4] و من مؤلفاته التاريخية : " اختصار ذيل السمعاني و تاريخ الغرناطي" و ألف تاريخا على طريقة الطبري مرتبا على السنين من سنة البعثة في ستة أسفار[5] ، هذا إضافة إلى أبي عبد الله محمد بن يحي بن عمر المعافري المعروف بابن الحباب و من أهم مؤلفاته " اختصار المعالم " .

---

[1] – يشير عبد العزيز فيلالي أن هذا المؤرخ المجهول عاصر السلطان أبا حمو موسى الثاني و لم يبق من هذا الكتاب إلا السفر الثاني الذي خصصه للحديث عن تاريخ أبي حمو موسى الثاني خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه . أنظر : : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 468 .

[2] – الزركشي : المصدر السابق ، ص : 169 .

[3] – نفسه ، ص ص : 169 – 170 .

[4] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 208 .

[5] – نفسه ، ص : 208 .

2- العلوم العقلية : و هي العلوم التي يستوي فيها النظر بين المسلمين و غيرهم، و يمكن للمسلمين أخذها عن بعضهم ، إنها علوم طبيعية للإنسان غير مختصة بصلة معينة كما قال ابن خلدون [1] و تنقسم إلى أربعة أقسام :

- **علم المنطق** : هو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة و من فوائده تمييز الخطأ من الصواب ، و به يعرف الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات و الحجج المفيدة للتصديقات و ذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس [2] . و قد اهتم أهل المغرب بهذا العلم و يبرز ذلك في تداولهم بالشرح و التلخيص لكتاب " مختصر الجمل لأفضل الدين الخونجي"[3]، و من علماء الدولة الزيانية الذين شرحوا " مختصر الجمل " : سعيد العقباني ، و الإمام محمد المقري الجد و لم يكمله ، كما شرحه ابن مرزوق الحفيد[4] .

إضافة إلى هؤلاء ، اهتم العلماء التلمسانيون بعلم المنطق مثل : محمد بن يوسف السنوسي و من أهم كتبه " شرح مختصر ابن عرفة "[5] ،" شرح إيساغوجي البقاعي " ، " شرح الموجهات " ، " مختصر في علم المنطق" [6] .

كما أولى الحفصيون اهتماما بهذا العلم : مثل أبو موسى عمران المشدالي البجائي الذي ارتحل إلى تلمسان و درس بها[7] ، و أبو إسحاق إبراهيم بن حسن

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 601 .

[2] – نفسه ، ص : 631.

[3] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 1 ، ص : 476 .

[4] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 477 .

[5] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 478 . ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 601 .

[6] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 478 .

[7] – التنسي : المصدر السابق ، ص ص : 139 – 142 .

بن عبد الرفيع الذي ألف كتابا عنوانه " اختصار ابن رشد "[1] ، هذا إضافة إلى أبي عبد الله بن محمد بن عرفة الورغمي المالكي الذي اشتهر بتأليفه في المنطق[2] .

– **العلوم الطبيعية** : و هو علم يبحث عن الجسم من جهة و ما يلحقه من الحركة و السكون ، فينظر في الأجسام السماوية و العنصرية و ما يتولد عنها من إنسان و حيوان و نبات و معدن و ما يتكون في الأرض من العيون و الزّلازل ، و في الجو و من السحاب و البخار و الرعد و البرق و الصواعق [3] .

و تنقسم العلوم الطبيعية إلى ثلاثة أقسام :

- **الطب** : علم يهتم ببدن الإنسان من حيث يمرض و يصح فيحاول صاحبها على حفظ الصحة و برء المرض بالأدوية و الأغذية ، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن و أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها و ما لكل مرض من الأدوية ، مستدلّين على ذلك بأمزجة الأدوية و قواها ، و على المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه و قبوله الدواء[4] .

- **علم الفلاحة** : هو علم يقوم على النظر في النبات من حيث تنميته و نشوئه بالسقي و العلاج و استجادة المنبت و صلاحية الفصل و تعاهده بما يصلحه و يتّمه من ذلك كله. و قد اهتم المتقدمون كثيرا بهذا النوع من العلوم

---

[1] –أبو إسحاق إبراهيم ، هو في الأصل قاض ، و علامة زمانه و فريد عصره ، أخذ عن جماعة الوافدين على تونس من الأندلس ، من مؤلفاته المشهورة : " مصيف الحكام " في مجلدين . و توفي سنة 733 هـ . أنظر : المصدر السابق محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 207 .

[2] – القلصادي : الرحلة ، دراسة و تحقيق : محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس عام 1978 ، ص : 121 .

[3] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 618 .

[4] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 619.

الطبيعية ، إذ أولوا أهمية للنبات من حيث غرسه و تنميته[1]. و اهتم أهل المغرب بهذا العلم أيضا من خلال اهتمامهم بكتاب :" الفلاحة النبطية " [2]

- **الكيمياء** : يجعلها ابن خلدون من توابع علوم السحر [3].

3- الميتافيزيقيا: يبحث في أمور ما وراء الطبيعة من الروحانيات ، و يعرفه ابن خلدون بقوله : " هو علم ينظر (بزعمهم) في الوجود المطلق ، فأولا في الأمور العامة للجسمانيات و الروحانيات ، من الماهيات و الوحدة و الكثرة و الوجوب و الإمكان و غير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات و أنها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها (ترتّبها) ، ثم في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام و عودها إلى المبدأ.[4]

4- علم المقادير : و يشتمل على العلوم التالية :

- **الهندسة** : علم ينظر في المقادير : إما المتصلة كالخط و السطح و الجسم و إما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية ، مثل أن كل مثلث فزواياه قائمتين ، و مثل أن كل خطين متوازين لا يلتقيان في جهة و لو خرجا إلى غير نهاية . و مثل أن كل خطين متقاطعين ، فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان و مثل أن الأربعة مقادير المتناسبة ، ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع و أمثال ذلك [5] .

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 620.

[2] – نفسه ، ، ص : 620.

[3] – نفسه ، ، ص : 623.

[4] – نفسه ، ، ص : 621.

[5] – نفسه ، ، ص ص : 609 – 610 .

و الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله و استقامة في فكره لأن براهينها كلها بينة جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها و انتظامها ، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ و ينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع ، و قد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون :" من لم يكن مهندسا فلا يدخلن مترلنا "[1]. و من فروع هذا العلم الأشكال الكروية و المخروطات و المناظر .

● **الأرثماطيقي** : من العلوم العددية يقوم على معرفة خواص الأعداد من حيث التآليف إما على التوالي أو بالتضعيف ، مثل أن الأعداد إذا توالت متفاضلة بعدد واحد ، فإن جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعد هما من الطرفين بعد واحد [2]. و من فروعه الجبر و المقابلة و المعاملات و الفرائض (و يشتمل هذا الفرع الأخير على جزء من الفقه).

و من بين المصنفات التي كانت تستخدم في العلوم العددية بتلمسان خلال العهد الزياني " أرجوزة ابن الياسمين في الجبر " [3] و " مختصر الجبر " لابن بدر الاشبيلي[4] ، و " تخليص أعمال الحساب " لابن البناء (توفي سنة 721 هـ)[5] . و ارتبطت الدراسات في الحساب و الجبر و الفرائض في الدولتين بمصنفين هامين

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 609 – 610 .

[2] – عبد العزيز الفيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 470.

[3] –نفسه ، ج : 2 ، ص : 470.

[4] – المرجع نفسه ، ج : 2 ، ص : 470 . و حسب المؤرخ " عبد العزيز فيلالي " فإن هذا الكتاب قد نشر في مدريد عام 1916 .

[5] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 470 .

" تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء [1] و " مختصر الحوفي " لأحمد بن محمد بن خلف الكلاعي الإشبيلي[2].

- **الموسيقى** : علم يقوم على معرفة نسب الأصوات و النغم بعضها من بعض و تقديرها بالعدد و ثمرته و معرفة تلاحين الغناء[3] .

- **علم الهيئة أو الفلك** : يدرس حركة الكواكب الثابتة و المتحركة و المتحيزة بطرق هندسية و من فروعه : علم الأزياج و يتناول حساب حركات الكواكب لتحديد موقعها [4] و من علماء الدولة الزيانية الذين اشتهروا بعلم الفلك و تخصصوا فيه الشيخ الفقيه : محمد بن أحمد التلمساني المعروف بالحباك [5] الذي تميز بدراسة علم الإسطرلاب و وضع فيه أرجوزة سماها " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب " .

كما اهتم بهذا العلم تلميذه محمد بن يوسف السنوسي [6] الذي قام بشرح قصيدة أستاذه الحباك " بغية الطلاب في علوم الإسطرلاب " و سماها " عمدة

---

[1] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 : ص : 471 .

[2] – توفي سنة 588هـ/1192 م ، و مصنفه " مختصر الحوفي " ما زال مخطوطا في الخزانة العامة رقم 3203 د .
انظر :عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص ص : 471 ، 489.

[3] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 601 .

[4] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 601.

[5] – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 475 .

[6] – نفسه ، ج : 2 ، ص : 475 .

ذوي الألباب و نزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب "[1] و من جانب الدولة الحفصية اشتهر في هذا العلم : محمد الدهان [2] الذي اشتهر أيضا بالطب .

ب- مناهج التعليم :

1- في المرحلة الابتدائية : شكل التعليم الابتدائي مرحلة أساسية في حياة المتعلمين في بلاد المغرب عموما و الدولة الحفصية و الزيانية خصوصا ، إذ كان التلاميذ يعدون للمراحل الأخرى ، و فيها يتبين مدى قدرة الطالب على التحصيل العلمي و يتعرف على طرق تلقيه العلم [3] .

أعطت هذه المرحلة اهتماما كبيرا لتعليم القرآن الكريم سواء عند بني زيان أو بني حفص ، فكان المعلم ملزما بتحفيظ القرآن للتلاميذ و الهجاء و الشكل و الخط الحسن و القراءة الحسنة ، و الترتيل و إعراب القرآن الكريم ، و ينبغي له أن يتفقد حفظ التلاميذ للقرآن الكريم ، و كان التلميذ في كل عشية من يوم الأربعاء و الخميس يقوم أمام معلمه بعرض ما حفظه من القرآن الكريم .[4]

و كان التلميذ لا ينتقل من سورة إلى أخرى حتى يحفظها و يكتبها و يعربها . و كان المعلم في المرحلة الابتدائية ملزما بتعليم التلاميذ الصلاة ابتداء من سن السابعة و يضربهم عليها في العاشرة . كما كان ينبغي عليه تعليم التلاميذ الوضوء و أداء الصلاة بما فيها : عدد ركعاتها و سجداتها و القراءة فيها و التكبير و

---

[1] –عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2 ، ص ص : 475 – 476.

[2] – هو أبو عبد الله الدهان طبيب و فلكي و عليه قرأ القلصادي أرجوزة ابن الرقام على الاستطرلاب و توفي سنة 853 هـ / 1448. أنظر : القلصادي: المصدر السابق ، ص: 117.

[3] – ابن سحنون : آداب المعلمين ، تحقيق محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981، ص : 80.

[4] – عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 414 .

وضعية الجلوس و الإحرام و السلام و كل ما يلزمهم في الصّلاة و التشهد و مختلف الأدعية .[1]

يتعرف التلاميذ في هذه المرحلة أيضا سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر و الشفع و الوتر و صلاة العيدين و الاستسقاء ، و الخوف ، و الجنازة .

و مما يلاحظ أن بعض المواد لم يكن التلميذ مجبرا لتعلمها ، فكان للمعلمين و أولياء التلاميذ الخيار في تعليمها حسب الاتفاق بين الطرفين أي بين المعلم و ولي الأمر ، و من هذه المواد : الحساب و الشعر ما لا يكون فيه فحش من كلام العرب و أخبارهم و إتقان الخط و النحو و اللغة العربية .[2]

و مما يمكن استنتاجه من خلال قراءتنا لمناهج التعليم في كلتا الدولتين ، أن منهجية التعليم في المرحلة الابتدائية عند الحفصيين كانت تقوم على تعليم الحديث مع القرآن الكريم و أساسيات العلوم ، إلا أنه كان يركز على حفظ القرآن باختلاف رواياته و قراءاته، ثم الخط . و كان منهج الحفصيين أقرب إلى الذي كان متبعا في الأندلس منه إلى منهج آخر في بلاد المغرب [3]، و هذا يعود بالدرجة الأولى إلى ما نتج عن الحركة الصليبية ضد أهل الأندلس ، التي جعلت الكثير من المدرسين الفرار من هذه الأوضاع و الانضمام إلى سلك التعليم في الدولة الحفصية هذا من جهة ، و من جهة أخرى فإن منهجية التعليم كانت شبيهة بمنهجية التعليم في المشرق

---

[1] – عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص ص : 414 – 415 .

[2] – نفسه ، ص : 415 .

[3] – ابن سحنون : المرجع السابق ، ص ص : 81 – 82 ، 97 .

العربي في مصر على الخصوص [1] ، نظرا لتنقل الكثير من الطلبة و العلماء الحفصيين لاستكمال دراستهم في المشرق العربي.

أما عند الزيانيين ، فمنهجية التعليم كانت تقوم على تعليم التلاميذ حروف الهجاء و الكتابة تدريجيا في الكتاتيب حيث تلقى لهم سور القرآن الكريم و كان يقوم بهذه المهمة معلمون من حفظة القرآن يشترط فيهم الصفات الأساسية مثل : التحكم في التجويد و الكتابة كالإظهار و الإدغام و الإهمال و التفخيم و الترقيق و أحكام القرآن و لم تشر المصادر في أي سن كان التلميذ يلتحق بمرحلة التعليم الابتدائي و لا عدد السنوات التي يقضيها، لكن المرجح أن سن الالتحاق بهذه المرحلة كان يتراوح ما بين الخامسة و السابعة[2] .

و الخلاصة التي يمكن الخروج بها أن منهج التعليم الابتدائي عند الحفصيين و الزيانيين كان يركز على حفظ القرآن الكريم بالدرجة الأولى مما نتج عنه عدم التحكم في ملكة اللغة و إجادة فنونها و أساليبها عكس أهل الأندلس الذين كانوا أحسن استعداد للإمساك بزمام اللسان العربي ؛ لأنهم استفادوا من التفنن في التعليم الابتدائي برواية الشعر و دراسة قواعد اللغة العربية منذ الصبا . كما يستخلص أن طريقة التعليم كانت مرنة مقارنة مثلا بطريقة التعليم في المغرب الأقصى كانت أكثر صرامة و أكثر حرية في الأندلس .

2- التعليم العالـــي : هي المرحلة الثانية من التعليم ينتقل إليها التلميذ بعد الانتهاء من الأولى ، بحيث يكون قد أتى على حفظ القرآن و ألم بمبادئ العلوم

---

[1] – عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص :415 .

[2] – الأخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص : 191 .

الضرورية. و لم يكن طلبة العلم في هذه المرحلة مجبرين على تعلم المواد التعليمية ، بل يقبلون على التعلم حسب استعدادهم ، و لهم مطلق الاختيار للأساتذة الذين سيتتلمذون عنهم في أية مادة من المواد التي يريدونها. و يلاحظ أن مناهج التعليم الابتدائي انعكست بقوة على مناهج هذه المرحلة إذ انطبعت على استعدادات التعلم لدى الطلبة و توجهاتهم الفكرية ، فظلت ذات الفروق و الخصائص المنهجية في مختلف مجالات التعليم في البلدين .[1]

من الصعب جدا تحديد بداية التعليم العالي في الدولة الزيانية أو الحفصية لأن المصادر لم تتحدث عنها صراحة و بالتفصيل . يتعلم الطالب في مرحلة التعليم العالي ما لم يتعلمه قبلها و يتعمق فيما تعلمه مجملا[2] ، و لما كانت المواد الشرعية هي المواد المتغلبة في مناهج التعليم العالي ، فما من شك أن الطلبة يستلهمون تعليمهم في تلك المواد ، مع مزاولتهم تعلم العلوم المساعدة لها أو العلوم الآلية كما يسميها ابن خلدون و هي اللغة العربية و قواعدها و الحساب و المنطق.[3]

لقد طرأت عدة تطورات على طرق التعليم العالي منذ زمن ابن زيتون [4] و أبي عبد الله بن شعيب [5] حيث سادت طريقتهما في التدريس في جامع الزيتونة بتونس

---

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص 695 .

[2] – نفسه ، ص : 695 .

[3] – نفسه، ص : 696 .

[4] – ابن زيتون : هو أبو القاسم بن أبي بكر اليمني ابن زيتون ، اختص في علم الفقه و العقائد الكلامية و المنطق تولى التدريس و القضاء في حاضرة إفريقية . توفي سنة 691 هـ في تونس : انظر : الغبرني : المصدر السابق ، ص ص : 114- 115 .

[5] – أبو عبد الله بن شعيب : فقيه و متصوف ، أصله من هسكورة من المغرب ، ولى بلدة القيروان لكنه عزل و بقي عاكفا على العلم و العمل إلى أن مات . انظر : الغبريني : المصدر السابق ، ص ص : 173- 174.

و زاد ابن عبد السلام[1] في تطويرها و تقوم هذه الطريقة على البحث و التحليل و إعطاء التفكير أهمية كبيرة دون جعل التعليم يقتصر على الحفظ . و اقتصرت هذه الطريقة على بعض المدارس الحفصية كما وضعها أصحابها . كما شاعت العديد من الأفكار حول طرق التعليم العالي و كل طريقة تنتقد الطريقة الأخرى فابن خلدون يرى مثلا أن تعلم أي مادة من المواد يستوجب التدرج على مراحل توخيا للعمق و الإتقان، فيشرع الأستاذ في إلقاء الخطوط العامة من المادة المراد تعليمها فصلا فصلا ، ثم يشرع في شرحها بصورة عامة مراعيا الاستعدادات الفكرية لطلبته . و عند هذا الحد يلم الطالب بفحوى تلك المادة إجمالا ، فتتكون لديه ملكة مبدئية حول ذلك العلم ثم يعود الأستاذ و يتناوله بتعمق ، فيشرع في التعليق و الشرح و المقارنة بين الاختلافات في كل الآراء الواردة ، فيلم الطالب بالمجمل و المفصل و المختلف حوله . و تتكون لديه القدرة على المناقشة و التحليل. ثم يعود الأستاذ ثالثة فيتأكد مما تعلمه طلبته ، و يتفقد أي غموض و يزيله بالتوضيح ، و يتم التحصيل في الغالب وفقا لهذه الطريقة على ثلاث مراحل أو أقل من ذلك ، وفقا لاستعدادات الطلبة .

و لم تكن هذه الطريقة متبعة من قبل كل الأساتذة في الدولتين ، بل كان بعضهم يفضل طرح المسائل الغامضة أو العويصة على الطلبة و يطلبون منهم التركيز لفهمها و حلها و حفظها ، و يعتبرون ذلك أحسن طريق للتعليم ، كما يبدؤون تعليم المعارف من نهايتها ، إذ يستفتحون بالغايات و النتائج قبل تحضير

[1] — ابن عبد السلام : هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي ، قاضي الجماعة بها ، كان فقيها ، متبحرا في العلوم العقلية و النقلية و محققا أخذ عن جماعة من الشيوخ كابن عبد الله بن هارون ، تولى التدريس و الفتوى و القضاء في تونس ، و توفي سنة 749 هـ. انظر :الغبريني : المصدر السابق ، ص : 112 .

أذهان طلبتهم لفهم ما يلقى عليهم ، و في النهاية يثبط هذا المنهج عن عزائم الطلبة في الإقبال على العلم ، فيهجره الكثيرون منهم على اعتبار عدم جدوى المواصلة.[1]

لقد أثرى ابن خلدون مناهج التعليم ببعض الآراء و النصائح و التي يمكن تلخيصها في ما يلي :

- على الأستاذ الاستعانة بالأمثلة بالشرح و التوضيح خاصة المسائل التي يطرحها .

- لا يدفع الأستاذ الطالب لاستيعاب و فهم الكتاب الذي يدّرس منه بنفس المستوى الذي يفهمه .

- مراعاة درجة إقبال الطالب على التعليم و قوة ذكائه و ذاكرته سواء كان الطالب مبتدءا أو على وشك التخرج .

- لا يستبق المسائل الواردة في الكتاب المقرر حتى يحيها الطالب كما وردت فيه ، دون إقحام مسائل من كتب أخرى ، على أساس أن الطالب إذا تكونت لديه ملكة في علم ما كان مستعدا أكثر لتحصيل غيره من العلوم بيسر و إتقان.

- اجتناب التطويل المفرط في تعليم علم أو كتاب ما ، بمضاعفة الحصص أو إطالة الفواصل بينهما ، لأن ذلك يكون منفذا لآفة النسيان ، فيصعب تعلم العلم الواحد ، ثم غيره من العلوم .

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 696 ، عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 421.

- يجب أن لا يخلط على المتعلم علمان في ذات الوقت ، لأنه لا يستطيع عندئذ التعمق فيهما معا لتشتت ذهنه بينهما .[1]

ج- أهم العلماء الذين اشتهروا في مختلف العلوم : برز عدّة علماء في مختلف العلوم سواء في الدولة الزيانية أو الدولة الحفصية ، و مما لاحظناه في المصادر المختلفة التي بحثنا فيها ، أن العالم الواحد نجده متخصصا في علوم شتى نقلية كانت أو عقلية ، و ركزنا على العلماء الذين انتقلوا من الدولة الحفصية إلى الدولة الزيانية أو العكس و هذا حتى نبقى في إطار بحثنا الموسوم بـــ : العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية و الحفصية خلال القرن : 13 م و 15م و من أهم العلماء نشير إلى ما يلي :

1- علماء الدولة الزيانية :

- **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى** : تخصص هذا العالم في اللغة العربية و علومها ، و الفقه ، و أصول الدين و التصوف و كان موقرا و محترما و مهابا ، و كان له في التلقين تقدم و نظر و استدعاه السلطان أبي

[1] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 696.

زكرياء الحفصي و ألقى في حضرته بعض المسائل النحوية. توفي بمليانة سنة 644 هـ[1].

● **أبو الحسن علي بن عمران بن موسى المليانى** : يعرف بابن أساطير عرف بغزارة علمه في الفقه و أصول الدين و التصوف و علوم الحكمة و كان متزهدا متقللا من الدنيا متعففا مقتصرا و قال فيه الشيخ : أبو محمد عبد الحق : " العالم المطلق " و كان يعظمه كما كان يعظم مشيخته ، و كان أعقل أهل وقته و أبعدهم عن الشر و لقي المشيخة ببجاية كالشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه و غيره و كان من خواص أصحابه و من فضلائهم و توفي في بجاية في عشر السبعين و ستمائة .[2]

● **أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف** : يصفه محمد بن محمد مخلوف بالقاضي العادل العالم المتفنن الكامل ولد في مدينة تلمسان سنة 602 هـ[3]. اشتهر بدروسه التي كان يلقيها في المساجد و تولى القضاء في بسكرة[4] و قسنطينة و الجزائر و كان مبارك التعليم ميمون النقيبة في التفهيم و درس عليه العلم خلق كثير و انتفعوا به ... و في مدينة بجاية التقى بعدة شيوخ كالشيخ أبي الحسن الحورالي رضي الله عنه و أبي بكر بن محرز و أبي العباس المليانى و توفي بالجزائر في اليوم الثاني عشر لجمادى الآخرة سنة 686 هـ[5] .

---

[1] – الغبريني : المصدر السابق ، ص ص : 171- 172 .

[2] – نفسه ، ص : 199 .

[3] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 202 .

[4] – هي أشهر الواحات الجزائرية ، و اشتهرت بكثرة نخيلها و جودة ثمرها و افتتحها العرب تحت إمرة سيدنا عقبة بن نافع الفهري و على مقربة منها استشهد هو و جماعة من أصحابه سنة 63 هـ . انظر : الغبرني : المصدر السابق ص 91.

[5] – نفسه ، ص : 92 .

● **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري** : يعرف بالتلمساني و هو إمام و فقيه و أديب ، عارفا بشروط المبرز في الفرائض ، و من مؤلفاته المنظومة المشهورة في الفرائض تعرف " بالتلمسانية " و توفي سنة 699 هـ .

● **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النّور** : إمام مبرز في الفقه على مذهب مالك بن أنس و عنه أخذ جماعة من أعيان تونس حين قدم مع عسكر الأمير المذكور منهم ابن خلدون . توفي في تونس بالطاعون الجارف سنة749 [1].

● **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البرشكي [2] ثم التلمساني الشهير بابن الإمام** : اشتهر بالإمامة و الرئاسة و خصه السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول بالفتوى و الشورى ، و زادت مكانته بعدما استولى السلطان المريني أبو الحسن على تلمسان. رحل إلى المشرق و التقى بكبار العلماء كشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية و بعد هذه الرحلة عاد إلى تلمسان لمواصلة مشواره التعليمي فكان إقبال الطلبة عليه من كل جهة و تخرج عليه أعلام كبار و شهرته فاقت تلمسان و المغرب كله حيث أصبحت في مستوى المغرب الإسلامي و توفي في شهر رمضان سنة 741هـ / 1340 م.[3]

---

[1] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 221 .

[2] – برشك : مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط بعيدة عن مستغانم بعدة أميال . أنظر : الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية : محمد دبي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ج : 2 ، ص : 32 .

[3] – اختلف المؤرخون في وفاته فيحي بن خلدون يشير إلى سنة 741 في ما يشير محمد بن محمد مخلوف إلى 743 أنظر : يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ص : 15 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 219

● **أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله البرشكي ثم التلمساني الشهير بابن الإمام** : هو أخو عبد الرحمن بن محمد ، اشتغل في التدريس و تمتع بنفس المكانة التي تمتع بها أخوه . توفي سنة 749 هـ / 1349 م[1]

● **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني** : يعرف بالمقري الكبير ، فقيه و أصولي ، التقى بعدة أعلام أثناء تأديته لفريضة الحج مثل أبي عبد الله البلوى و الآبلي و ابني الإمام و عمران المشدالي و من أشهر ما ألف كتاب القواعد اشتمل على ألف و مائتي قاعدة ، و هو كتاب مفيد و حاشيته بديعة على مختصر ابن الحاجب الفرعي و الحقائق و الرقائق في التصوف شرحه الشيخ أحمد زروق و التحف و الطرف غاية في الحسن و له تلخيص في أصل نسبته و قراءته و أسماء شيوخه و توفي سنة 756 هـ / 1355 م بفاس.[2]

● **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني** : يعرف بالآبلي [3] ولد في تلمسان سنة 681 هـ /1281 ، اشتهر بالفقه و أخذ عنه مجموعة من العلماء من أمثال ابن خلدون و ابن مرزوق الجد و يعتبره عبد الرحمن بن خلدون شيخ العلوم العقلية و كان عضو مجلس العلماء ببلاط المرنيين ، تنقل

---

[1] – نصر الدين بن داود ، علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان ، من القرن 7 هـ إلى القرن 10 هـ ، قسم التاريخ و علم الآثار ن جامعة وهران . 2003 م ، ص : 13 .

[2] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 232.

[3] – نسبة إلى آبلة AVILA من بلاد الأندلس تقع في الشمال الغربي لمدريد . انظر : عبد الرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا منشورات دار الكتاب اللبناني لطباعة و النشر ، سنة 1979 ، ص : 2.

بين أقطار المغرب و الأندلس ، ليستقر أخيرا بفاس و يتابع تعليمه و توفي في فاس سنة 757هـ/ 1356 [1].

● **أبو عبد الله محمد بن يحي الشريف الحسني التلمساني** : اشتهر بالفقه و المنطق و كان من مجموعة الشيوخ الذين اصطفاهم أبو الحسن المريني لاصطحابه إلى إفريقية حينما استولى عليها . و هو شارح الجمل للخونجي بتلمسان و كان إماما ذا عقل و ذهن ثابت و قال عنه الشيخ ابن عرفة "رأيته و قد وفد لتونس فرأيت منه علما تاما و معرفة "[2] و توفي في الرابع ذي الحجة من سنة 771 هـ[3].

● **محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي** : ولد بتلمسان سنة 711 هـ حسب يحي بن خلدون و سنة 710 هـ حسب ابن مريم [4] اشتهر بالفقه و رواية الحديث ، درس بجامع القصبة في تونس ، و أقام بالقاهرة على برهان الدين الصفاقسي و أخيه . و بعد عودته إلى تلمسان تولى بعد وفاة عمه محمد بن مرزوق الخطابة في مسجد العباد . لقد كان لابن مرزوق مشوار طويل حافل بالمهمات إذ تولى مناصب سياسية و دبلوماسية مع السلاطين المرنيين كأبي الحسن و أبي عنان و أبي سالم ، فمن كاتب للسلطان إلى مستشار إلى مبعوث

---

[1] – محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 221 . ابن خلدون : المصدر السابق ، ص : 21 .

[2] – الزركشي : المصدر السابق ، ص : 105 .

[3] – اختلف المؤرخون في وفاته ، فالزركشي يضع وفاته في سنة 771 في حين يشير محمد بن محمد مخلوف إلى سنة 792 و توفي غريقا. أنظر : محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 234.

[4] – ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص ص : 184-186 .

خاص .[1] و له عدة تآليف في شتى أصناف العلوم و الفنون و منها من لم يبق له أثره إلى العنوان و من هذه التأليف :

- مخطوط في سيرة سلف بني مرزوق الصالحين .
- المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولان أبي الحسن .
- عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من استجازني من المشاييخ دون من أجاز من أئمة المغرب و الشام و الحجاز .[2]

● **أبو عبد الله محمد الفشتالي التلمساني** : عاش في القرن الثامن الهجري اشتهر بالفقه و الأدب ، و كان من مشاهير العلماء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني إلى إفريقية ، و بعد تراجع المرنيين عن بلاد المغرب تولى القضاء بمدينة فاس بعدما تولاها بطرابلس [3]

● **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** : نشأ بتنس و توجه إلى بجاية لطلب العلم و أخذ عن أبي علي ناصر الدين المشدالي ثم ارتحل إلى المشرق فاخذ المنطق و الجدل و علم الكلام و الإرشاد و غير ذلك من العلوم على علماء القاهرة أمثال شمس الذين الأصبهاني و القرافي و سيف الدين الحنفي ، ثم عاد إلى مسقط رأسه . و من أشهر تآليفه : شرح كتاب تلقين المبتدأ و تذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع في عشرة أجزاء . و توفي في تلمسان سنة 680هـ [4]

1– يحي ن خلدون : المصدر السابق ، ج: 1 ، ص : 115 . ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص : 188 – 189.

2– عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين و تراجم مصنفين الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ، ط : 1 ، بيروت 1993 ، ج : 3 ، ص : 107

3 – عاشور بوشامة: المرجع السابق ، ص : 541 .

4 – يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص 114 . ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص 66 . 67 .

• **سعيد بن محمد العقباني التلمساني** : فقيه على مذهب مالك ولد عام 720هـ/ 1320 م ، أخذ الأصول عن أبي عبد الله الأبلي و غيره و تولى قضاء الجماعة ببجاية أيام السلطان أبي عنان و قضاء تلمسان ، ألف شرح الحوفي و شرح جمل الخونجي و التلخيص لابن البناء و قصيدة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة و العقيدة البرهانية في أصول الدين و تفسير سورة الفاتحة ، و من تآليفه أيضا شرح البردة و شرح جليل على ابن الحاجب الأصلي ،و تفنن في العلوم و حذق في الحساب و الهندسة و أخذ عنه جماعة من السادات كولده قاسم العقباني و الإمام أبي الفضل ابن الإمام و الإمام الحجة ابن مرزوق الحفيد. و توفي سنة 811 هـ / 1407 م [1] .

2- علماء الدولة الحفصية :

• **أبو موسى عمران المشدالي البجائي** : ولد في بجاية سنة 670 هـ/ 1271 م ، أعرف أهله بمذهب مالك و قال عنه يحيى بن خلدون : " لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك و حفظا لأقوال أصحابه و عرفانا بنوازل الأحكام و صوابا في الفتيا ." [2] تولى التدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان ، فأخذ منه الكثير من طلبتها [3].

• **محمد بن يحيى الباهلي البجائي** : اشتهر بالفقه و عرف بالمفسر و كان فقيها عالما صالحا ، أخذ عن أبي علي ناصر الدين المشدالي و له إملاء عجيب على بعض مختصر ابن الحاجب و له قصيدة سماها " نظم فرائض الجواهر في معجزات سيد الأوائل و الأواخر"،و له شرح عن أسماء الله الحسنى و له

---

[1] – ابن مريم : المصدر نفسه ، ص ص : 106- 107 . الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 425 .

[2]– يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج: 1، ص : 72.

[3]– التنسي: المصدر السابق ، ص: 141.

كلام عجيب في التصوف وله تقييد في أنواع فنون العلم ، و كان فصيحا و كثير التواضع ، و توفي سنة 744 هـ [1].

- **حسن بن خلف الله بن حسن بن القاسم بن ميمون بن إدريس القسنطيني:** كان عالما فقيها، أخذ عن العديد من شيوخ تونس ، و بعد ترحال طويل استقر في قسنطينة التي ولد فيها سنة 707 هـ/1307 م و توفي سنة 784هـ/1382م [2] .

- **أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي:** يصفه محمد بن محمد مخلوف بالأستاذ الجليل [3] أخذ عن والده و أبي علي ناصر الدين المشدالي ولد سنة 710 هـ، له مشاركة حسنة في العلوم العقلية و النقلية و له اطلاع و تقييد و نظر في الأصول و المنطق و علم الكلام و الحساب و الهندسة [4].

- **عبد الله بن سليمان بن قاسم المحمودي التونسي :** اشتهر بالفقه و الحديث رحل إلى تلمسان للاستزادة من العلم عن مشاهير شيوخها و تولى القضاء في تونس [5].

- **أبو العباس أحمد المسيلي :** توفي في نهاية القرن الثامن الهجري، من أكبر فقهاء المسيلة، تولى التدريس في مدينة تلمسان [6] .

1- الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 426-427 .

2- عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 544.

3- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 234.

4- ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 292.

5- عاشور بوشامة : المرجع السابق، ص: 544.

6- ابن مريم : المصدر السابق، ص : 31.

- **أبو العباس أحمد بن عمران البجائي** : عاش في القرن الثامن الهجري من مشاهير علماء بجاية ، قدم إلى تلمسان تاجرا، و حضر مجلس أبي زيد بن الإمام فأكرمه و قدمه إلى أبي تاشفين ، فرفع عنه كلفة مغرمه و مغرم ما جاء معه و أعطاه مئتي دينار ذهبية الذي قدمه إلى أبي تاشفين و إلى أخيه أبي موسى [1].

- **أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي** : عالم في الفقه و الحديث و هو شارح المدونة و الرسالة و الجلاب تتلمذ على يد مجموعة من علماء الدولة الحفصية كمثل : أبي محمد الشبيبي و ابن عرفة و أبي مهدي الغبرني و الحافظ البرزلي... تولى القضاء في مواضع عدة مثل : كبابة و جربة و القيروان، و له شرح حسن على الرسالة ، و كان يبالغ كثيرا على هذا الشرح حسب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي،و توفي سنة 877 هـ/1433 م [2].

- **أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني** : المعروف بالبرزلي، مفتي تونس و فقيهها، و كان إماما علامة بارعا حافظا للفقه، و أخذ عن عدة شيوخ منهم ابن مرزوق الخطيب ، قرأ عليه شيئا من الصحيحين و الشفاء و الشاطبيتين ... و عن أبي الحسن البرطريني تعرف على القراءات السبع. و يقول عنه السخاوي : " كان البرزلي أحد أئمة المالكية ببلاد المغرب و صاحب الفتاوى المتداولة ". و كان يوصف بشيخ الإسلام [3].

---

[1]- التنسي : المصدر ، المصدر السابق ، ص : 142.

[2]- ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 149.

[3]- نفسه ، ص ص : 151- 152.

- **محمد بن أحمد بن أبي القاسم المشدالي** : اشتهر بالفقه و الحديث و المنطق و من تآليفه " تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوغي على المدونة " في غاية الحسن و التحقيق تدل على إمامته في العلوم و ارتحل إلى القاهرة و أخذ عن الكثير من شيوخها، و أخذ عنه جماعة من الأئمة كالإمام أبي الربيع الحسناوي و أبي مهدي و عيسى بن الشاط و العالم محمد بن مرزوق الكفيف و ولديه ، ثم استقر في الأخير في بجاية حيث تصدر للتدريس [1].

- **عبد السلام التونسي** : كان عالما زاهدا من أكابر أولياء الله تعالى ، اشتهر بالفقه و التصوف و كان يلبس الصوف و يأكل الشعير من حرث يده و السلاحف البرية و تتلمذ على يد عمه عبد العزيز و مات و قبره بالعباد [2] .

- **بلقاسم بن محمد الزواوي** : من مشاهير فقهاء بجاية ، و من أكابر أصحاب الإمام السنوسي أخذ عنه محمد بن عمر الملالي و توفي 922هـ [3].

- **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** : فقيه وصوفي أخذ عن الإمام القطب العارف بالله سيدي أحمد زروق و عن ولده الشيخ أحمد زروق الصغير و له تآليف في التصوف منها : "نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد" في ثلاثة كراريس و " رسالة القصد إلى الله "في كراسين و توفي سنة 940 هـ [4].

- **سعيد البجائي** : فقيه و صوفي تتلمذ على يده عدة شيوخ منهم : الشيخ بالقاسم المقدادي الحجازي و توفي سنة 950 هـ [5].

1- الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 121-122-123 .

2- ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 122.

3- نفسه ، ص : 71.

4- نفسه ، ص: 116.

5- نفسه ، ص ص : 103- 104.

الفصل الثالث

المؤسســـــات التعـــليمية و دورها في تـــمتين الروابـــط الثقـــافية بين البلـــدين

أ- الكتاتيب و الزوايا و المساجد .

ب- المـــدرســـــة .

1- المـــدارس الـــــزيانية

- مدرسة ابنـــــي الإمام
- المدرسة التاشـــــفينية
- مـــــدرسة العبـــاد
- المدرسة الـــــيعقوبية

2- المدارس الحفـــــصية

- المدرسة الشمـــاعية
- المدرسة التـــوفيقية
- المدرسة المعرضيـــة
- المدرسة الـعنقـــية
- مدرسة ابن تافراجين
- المدرسة الســـجومية
- المدرسة المستنـصرية

3- نظام المدرسة و مواردهـا

جـ - أثر هذه المؤسسات في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين

أ- **الكتاتيب و الزوايا و المساجد** : كانت الكتاتيب في المغرب الأوسط و الأدنى بمثابة المدارس الابتدائية التي يتلقى فيها المتعلم العلوم الأولى و التي غالبا ما تكون حفظ القرآن الكريم .

و الكتاتيب هي مؤسسات تعليمية ينشئها الخواص نظرا لبساطتها أو يقوم المعلمون باستئجار بيوت تتخذ مكانا للتعليم ، أو يقوم جماعة من أهل الخير على التطوع بتمويل بنائها أو تتقدم جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين ببنائها[1] .

و في الريف كانت الكتاتيب عبارة عن غرفة بسيطة مفروشة بالحصير يتحلق فيها التلاميذ حول المعلم ، أما في المدن الكبرى فأصبحت هذه المؤسسات أكثر تجهيزا خاصة في القرن التاسع الهجري ، ففي كل مؤسسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال [2] ، و كانت الوسائل التعليمية عبارة عن ألواح مسطحة من خشب و دواة وقلم و بعض الصلصال [3].

و يشرف على التعليم في مثل هذه المؤسسات معلم[4] يتعاقد مع أولياء التلاميذ على أجر معين و يمكن أن يتعاون معلمان في أداء مهمة التعليم إن زاد عدد التلاميذ على حد معين و كان المعلمون يتصلون بولي أمر كل تلميذ ليتفقا

---

[1]- ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 422 .

[2] - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج: 1، ص :261 .

[3]- يشير صاحب المؤنس أن أبا عمرو عثمان الحفصي مول بناء ثلاثة كتاتيب لقرآن . و أوقف عليها أوقافا كافية . أنظر :ابن أبي دينار : المؤنس في ذكر أخبار إفريقية و تونس، سنة 1967 ،ص: 157 .

[4]- لم تذكر كتب الطبقات المعلمين لعدم اشتهارهم في المجالات العلمية الشائعة أنداك . فضاعت الكثير من التفاصيل حولهم و حول جهودهم في التعليم وتحضير التلاميذ للمراحل التالية من التعليم. انظر : عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 423 .

على المادة أو المواد التي سيتم تعليمها له [1] و كذا الزمن المخصص كما يتفق المعلم مع الولي حول شروط دفع الأجر . و عموما كان التعليم يتم في هذه المؤسسات بعقود فردية أو جماعية يبرمها أولياء التلاميذ مع المعلمين و غالبا ما يكون الاتفاق محددا بمدة شهور و سنة أو بحفظ جزء معين من القرآن الكريم أو بتعليم مبادئ مادة معينة ، كما يمكن أن يتعاقد جماعة من أولياء التلاميذ فيتكفلون بدفع أجر المعلم و تأجير المكان [2] إضافة إلى هذه العقود كان أولياء التلاميذ في المغربين عادة ما يقدمون الهدايا للمعلم في المناسبات و الأعياد الدينية مثل : عيد الفطر و الأضحى و عاشوراء و المولد النبوي الشريف و عند ختم التلاميذ القرآن[3].

كانت مؤسسات التعليم الابتدائي تنتشر في كل أنحاء الدولتين خلافا للمدارس و الجوامع الكبيرة التي كانت تتواجد في المدن الكبرى فقط [4] . و لم تشر المصادر إلى عدد مؤسسات التعليم الابتدائي[5] ، و لكن هناك مؤشرات يمكن الاستخلاص منها ، أن عددها كان ضخما في الدولتين قياسا بما أورده الحسن الوزان في كتابه" وصف إفريقيا". و من هذه المعطيات التاريخية يتضح أن المؤسسة التعليمية الابتدائية في المغربين : الأوسط و الأدنى كانت صغيرة الحجم و تعتمد على أولياء التلاميذ و بالتالي فإن حالة معلميها الاجتماعية كانت

---

[1]- ابن سحنون :المصدر السابق ، ص: 90.

[2]- الونشر يسى: المعيار المغرب دار الغرب الإسلامي ، بيروت عام 1981 ، ج : 8، ص: 162 .

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج : 1 ص : 261 .

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج : 2 ، ص : 424 .

[5]- وداد القاضي :المدرسة في المغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري في ضوء كتاب المعيار للونشر يسي ، الفكر التربوي الإسلامي ، أعمال مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في بيروت من 15 إلى21 مارس 1981 ، ص : 70 .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج: 1 ،ص : 261.

تتحدد وفقا لهذا الأساس [1] لم تكن الكتاتيب و حدها مكانا للتعليم بل وجدت أماكن أخرى مثل الزوايا التي انتشرت في مناطق عدة من بلاد المغربين و هي عبارة عن دور للعلم و الإقامة ، و كان ينشئها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية و كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها [2] و يتكون جهازها الإداري من ناظر و جماعة من المساعدين مهمتهم تسيير الزاوية ورعايتها و يحدد الموقوفون في عقودهم الأوجه التي تصرف فيها عوائد أوقافهم و طريقة إدارتها [3]. و يشير هذا المقتطف من نص وثيقة تبين وقف زاوية من الزوايا الحفصية : "... أشهد الشيخ الحاجب أبو عبد الله التميمي صاحب زاوية قصر المنستير ، أنه حبس جميع الهنشير (قطعة أرض) المعروف بابن مصور من عمل المهدية ... على ولده الشيخ الفقيه سيدي أحمد و على عقبه و عقب عقبه ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام و على فقراء القصر الكبير في بلد رباط المستنير المقيمين به لتعليم القرآن الكريم و سنة نبينا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم ... و على كل من يرد من بلاد الله تعالى للإقامة به يريد تعليم ما ذكر مدة إقامته به فإن الغرض عقبه و عقب عقبه المذكور فيرجع الحبس المذكور على الشيخ الذي له النظر و الفقراء المقيمين به و الواردين عليه لتعليم ما ذكر مدة إقامتهم به ... "[4]

---

[1]- وداد القاضي : المدرسة في المغرب ... المقال السابق ، ص: 141 .

[2]- محمد حسن : و ثيقة في التاريخ الريفي : تحبيس هنشيرا ابن منصور بالمهدية على رباط المنستير سنة : 825هـ ، المجلة التاريخية المغربية ، الأعداد : 49 – 50 ، عام 1988 ص ص : 221-248 .

[3]- نفسه ، ص : 221 .

[4]- نفسه ، ص : 221 .

و من خلال هذه الوثيقة يتضح أن الزوايا لم تكن ملكا لأحد سواء للدولة أو لأشخاص معينين ، بل كانت مرافق تعليمية و اجتماعية عامة تستمد استقلاليتها من أوقافها و من النظام العام الخاص بها الذي جرى العرف على اتباعه كما أنها لم تكن تقدم سوى تعليما شرعيا على الأكثر [1] . و يمكن إدراجها ضمن " التكافل الاجتماعي و الثقافي " في رحاب الإسلام واشتهرت باتجاهاته الصوفية و تأييد الحكام لذلك الاتجاه .[2] اهتم الحكام في المغربين بالإسهام في إقامة الزوايا و العناية برجالها و من المؤكد أن الزوايا كانت تنتشر في مختلف نواحي بلاد المغرب و الأوسط و الأدنى ، و تحتوي على مكتبات ثرية بالكتب و مناقب الصالحين و رجال الصوفية ، غير أن طبيعة التعليم بها لم تكن تستدعي وجود كتب حول كل فروع العلوم العقلية .[3]

ب- المـــــدرســـــة :

1 – ظهور المدرسة في بلاد المغرب : لم تظهر المدرسة كمؤسسة ذات نظام تعليمي وإداري و مالي في المشرق إلا في مطلع القرن الخامس الهجري ، و منه امتدت إلى مختلف أنحاء العالم على فترات متفاوتة [4] ، أما في بلاد المغرب فالنشاط التعليمي كان ينحصر بين : الكتاتيب ، و المسجد الجامع وباقي المساجد و منـــزل المدرس و عيادات الأطباء و المكتبات الخاصة و ظل هذا النظام قائما في بلاد المغرب و الأندلس دون تنظيم رسمي إلى القرن السابع الهجري حيث حفلت المصادر بأخبار إنشاء المدارس النظامية [5]غير أن بوادر ظهورها تعود إلى

---

[1]- ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص : 156 .

[2]- نفسه ، ص ص : 156 – 157 .

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق ج :1 ، ص : 56 .

[4]- وداد القاضي : المدرسة في بلاد المغرب ... المقال السابق ، ص:127 .

[5]- نفسه، ص : 129

القرن السابق عليه ، فتذكر المصادر أن يعقوب المنصور الموحدي [1]كان قد بنى مدرسة في حدود 593هـ / 1196 م في سلا في شمال الجامع الأعظم الذي أنشئ في عهده [2]. و إذا كانت هذه المدرسة التي بناها يعقوب المنصور بداية ظهور المدارس في بلاد المغرب ، فإن المدارس بشكلها النظامي لم تظهر إلا في منتصف القرن السابع الهجري حيث أنشأ الحفصيون أول مدرسة نظامية في بلاد المغرب .[3]

و تميز الجامع الأعظم بنظامه التعليمي الذي يختلف تماما عن المدرسة ، فلم يكن يسمح للصغار التعلم فيه بل كان مختصا لتعليم الكبار و مجالسة العلماء [4].

و يشير ابن سحنون أن سبب عدم السماح للصبيان التعلم في المسجد لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ، و لم يكن المتعلمون ملزمون بالحضور في أوقات معينة بل محبة العلم و الاستزادة منه كانت دائما وراء كثرة رواده و مواظبتهم على الحضور للاجتماع بالعلماء ، إلا أن الجوامع الكبرى مثل الأزهر و الزيتونة و القرويين تأثرت بنظام المدارس فأصبحت تضم ملاحقا و فروعا و أروقة و بيوتا لإسكان الطلبة مع إعطاء الأولوية للطلبة الغرباء و لا يعرف متى حدث هذا التطور [5].

---

[1]- هو أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ولد في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة 554 هـ و بويع بالمحلة بعد وفاة والده يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأخر سنة 580 هـ و توفي ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول من سنة 595 هـ . انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 162 .

[2]- الغبريني : المصدر السابق ، ص ص : 100-101 . الناصري :المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 195 .

[3]- وداد القاضي : المدرسة في المغرب ...المقال السابق ، ص : 100.

[4]- ابن سحنون : المصدر السابق ، ص: 87 .

[5]- وداد القاضي:المدرسة في بلاد المغرب ...المقال السابق ، ص : 141 . ابن القنفذ : الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1971 ، ص ص : 7-8 .

و اشتهر ببلاد المغرب الإسلامي جامع الزيتونة [1]. و الجامع الأعظم بتلمسان [2]. و الجامع الأعظم بغرناطة[3] و الجامع الأعظم ببجاية و قسنطينة[4]. و مما يستنتج على العموم أن المدن الكبرى ببلاد المغرب و الأندلس لم تكن تخلو من جامع أعظم لكن أشهرها الجوامع التي ذكرت سالفا[5] و كان الجامع الأعظم في بلاد المغرب و الأندلس مؤسسة تعليمية حقيقية إذ كان يتوفر على مكتبة كبيرة في كل فروع المعرفة [6] كما كان يتحصل على موارد كبيرة من الأوقاف و الهبات[7]

و مهما اختلف الجامع عن المدرسة فإن هاتين المؤسستين كانت تخدم العلم و طلابه و لم تذكر المصادر أي تداخل بين المؤسستين و كل ما تذكره أن المدرسة وفدت على بلاد المغرب من المشرق في منتصف القرن السابع الهجري فظهرت في تونس ثم تلمسان.

1- **المدرسة الزيانية :** ظهرت المدرسة كمؤسسة تعليمية نظامية في مدينة تلمسان ابتداء من العقد الأول من القرن الثامن الهجري أي الرابع عشر ميلادي

---

[1]- شرع في بنائه في عهد الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114 هـ ، و أتم بناءه و طوره أبو العباس محمد بن الأغلب على عهد المعتصم العباسي ، فكان منذ ذلك العهد مركزا كبيرا للعلم و العلماء ، ثم طوره كثيرا أبو زكرياء يحي الاول الحفصي . انظر : ابن أبي دينار : المصدر السابق . ص ص : 11 – 12 .

[2]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 91 ، 92 ، 104 ، 115 ، 123 .

[3]- ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص: 439 .

[4]- الغبريني : المصدر السابق ، ص ص: 301 – 302 .

[5]- ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ص: 438 – 439 .يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 108 ، 117 ، 207

[6]- الونشريسي: المصدر السابق ، ج 7 ، ص : 227 .

[7]- نفسه ، ج : 07 ، ص ص : 209 ، 237 .

و جاءت متأخرة عن بلاد المشرق بنحو قرنين من الزمن و عن إفريقية و المغرب الأقصى بنحو نصف قرن [1] .

لقد اهتم الزيانيون بإنشاء المدارس و كان هدفهم نشر التعليم و الثقافة و رفع درجة الوعي للرعية و توجيهها و جهة تخدم الصالح العام و المجتمع [2] .

اقتدى ملوك الدولة الزيانية بنظام المشرق العربي في إنشاء المدارس التي كانت تعد بمثابة المعاهد العليا يتكون فيها الإطارات العليا في شتى المجالات [3] . و من أهم المدارس التي اشتهرت في تلمسان نشير إلى ما يلي :

- **مدرسة ابني الإمام** : و هي أول مدرسة أسسها الزيانيون في تلمسان و تم بناؤها ما بين سنتي 707 هـ و 718 هـ بناحية المطمر [4] وسميت على اسم العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمان بن الإمام (توفي سنة 743 هـ / 1342 م) و أخيه أبي موسى عيسى بن الإمام (توفي سنة 749 هـ / 1348 م) [5] وكلفهما أبو حمو موسى الأول بإدارة التعليم و التدريس بها و لم يبق بهذه المدرسة إلا المسجد الصغير بمنارته [6].

---

[1]- محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء، سنة 1987 ، ص : 69 .

[2]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج : 02 ، ص : 326 .

[3]- الأخضر عبد لي : المرجع السابق ، ص : 28 .

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق ، ص : 34 .

[5]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ص : 123 ، 126 .

[6]- القبلي محمد : قضية المدارس المرينية ، ملاحظات و تأملات ضمن كتاب النهضة و التراكم ، دار طوبقال ، الدار البيضاء ، ص : 51 .

- **المدرسة التاشفينية** : أمر بنائها السلطان الزياني أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول (718 - 736 هـ / 1317 - 1335 م) بجانب المسجد الجامع بتلمسان ليضاهي بها ملوك تونس و فاس و قد تفنن في بنائها حتى جعلها قصرا من قصور الملوك و كانت تشمل على عدة بنايات و أروقة و قد حضر في حفل افتتاحها علامة عصره أبو موسى عمران المشدالي الذي درس بها كما درس بها العالم أبو العباس أحمد بن عمران البجائي [1].

و لقد وصف أحد علماء الأندلس المدرسة التاشفينية في أبيات شعرية قائلا :

أُنْظُرْ بِعَيْنِـــكَ بَهْجَتِي وَ سَنَائِي ** وَ بَدِيعِ إِتْقَانِي وَ حُسْنَ بِنَائِي

وَ بَدِيعِ شَكْلِي وَ اعْتَبِرْ فِيمَـــا تَرَى ** مِنْ نَشْأَتِي بَلْ مِنْ تَدَفُّقِ مَائِي

جِسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِـــبٌ سَـــيَلَانُهُ ** صَافٍ كَذَوْبِ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ [2]

وقام الاستعمار الفرنسي بهدمها عندما شرع في تنفيذ مشروع يهدف إلى توسيع الطرق فبنيت البلدية الحالية و أنشأت بجانبها ساحة كبرى مكان المدرسة التاشفينية سنة 1875 م و نقلت بعض زخارفها إلى متحف تلمسان و إلى أحد المتاحف بباريس [3] .

---

[1]- سماه يحي بن خلدون بأبي العباس أحمد بن عمران اليانوي. أنظر :يحي بن خلدون: المصدر السابق ، ج : 1 ص : 75 .

[2]- المقري : المصدر السابق ، ج : 08 ، ص ص : 154 – 157 .

[3]- حاجيات عبد الحميد : أبو حمو موسى الثاني ، حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1974 ص : 62 .

- **مدرسة العباد** : شيدها السلطان أبو الحسن المريني بالعباد خارج تلمسان حينما استولى على المدينة سنة747 هـ/1346م [1] و تمتاز هذه المدرسة بزخرفتها و فنها المعماري ذي الأقواس المنكسرة و الأجر المدهون باللون الأخضر . و تتكون من طابقين : الطابق السفلي يحتوي على عشر حجرات و الطابق العلوي يحتوي على ثماني حجرات و كل حجرة تتسع لشخصين و كان مخصص للطلاب الداخليين .

و المدرسة مزودة بمرافق المياه ، فهي تحتوي على مراحيض و حجرات مخصصة للاستحمام و بالطابق السفلي نافذتان طويلتان تنتهي كل منهما بقوس تحته سقيفة مغطاة بقرميد مذهون بلون أخضر يحيط بالفناء [2] . و بشهادة المستشرق : غوستاف لوبان ، فإن هذه المدرسة كانت من أهم المباني في بلاد المغرب و كانت تدرس فيه العلوم و التاريخ أيام ارتقاء العرب[3].

- **مدرسة الحسن أبركان:** بناها أحمد العاقل (834- 866 هـ) قرب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الحلوي [4] خارج باب علي بتلمسان .

---

[1]- ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص : 406 .

[2]- الأخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص : 292 .

[3]- غوستاف لوبان : تاريخ حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة الحلبي، سنة 1945 .

[4]- الحلوي : هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي ، الملقب بالحلوي نزيل تلمسان و من كبار العباد العارفين . **أنظر:** يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 127 . عبد الحميد حاجيات و آخرون : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي ، من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الفصل الرابع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ص : 438 .

- **المدرسة اليعقوبية :** أسسها أبو حمو موسى الثاني [1] – سنة 763هـ بجانب الضريح الذي أقيم على قبور أبيه ، أبي يعقوب يوسف و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت و الذي دفن فيه بعد ذلك العالم الصالح إبراهيم المصمودي المتوفى سنة 804 هـ ، و من سوء الحظ أن هذه المدرسة قد اندثرت [2] .

لقد أحصى الحسن الوزان عند مطلع القرن العاشر الهجري خمس مدارس بتلمسان و أكثر من مدرسة في وهران ثاني مدينة زيانية بعد تلمسان [3].

و مما يلاحظ على هذه المدارس أنها كانت تدرس على المذهب المالكي و كانت مدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة التي ظلت تشرف عليها بالتمويل ، و تعيين الأساتذة و المدرسين و كان كل مدرسيها من المالكية [4] . و قد خصصت السلطة الرواتب و الأجور للمدرسين و كل العاملين فيها كما تكفلت بإعانة الطلبة ماديا و بتحمل جميع نفقاتهم و مصاريفهم و حرص المشرفون على المدارس على إنشاء المكتبات و غمرها بالكتب [5] و أدت دورا كبيرا في تعليم القوانين الشرعية و العلوم اللغوية .

2- المدارس الحفصية : من خلال بحثنا في العناصر السابقة نستنتج أن الحفصيين كانوا السباقين إلى إنشاء المدارس في بلاد المغرب ، و كانت تتواجد

---

[1]- حكم تلمسان ما بين : 760 هـ/1359 م – 791 هـ / 1389 م أنظر : التنسي : المصدر السابق، ص : 157.

[2]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 2 ،ص ص : 104 – 136 .

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 19- 30 .

[4]- بيل ألفريد : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987 ، ص : 354 .

[5]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ج: 2 ص : 326 .

في معظمها و على الخصوص في العاصمة تونس و من أهم هذه المدارس نشير إلى ما يلي :

- **المدرسة الشماعية** : سميت بهذا الاسم لقربها من سوق الشماعين و كانت تعرف بأم المدارس بتونس [1] . و قد تزامن بناؤها مع بداية ظهور الدولة الحفصية و مع إنشاء أبي زكرياء الحفصي جامع القصبة الموحدي [2] ، و هو ما دفع ببعض المؤرخين إلى القول أن المدرسة الشماعية أنشئت لتكريس المذهب الموحدي و نشره و تغليبه على المذهب المالكي [3] .

- **المدرسة التوفيقية**: تحول اسمها إلى مدرسة الهواء ، شرع في بنائها سنة 650 هـ / 1252 م ، و مولت عملية بناءها السيدة : عطف أرملة أبي زكرياء يحي الأول الحفصي و والدة خليفته أبي عبد الله محمد المستنصر الحفصي [4] .

- **المدرسة المعرضية** : بنيت في عهد أبي حفص عمر الحفصي (683 هـ - 1284 م / 694 هـ -1295 م) في سنة 683_ هـ / 1284 م [5] في مكان فندق كانت له سمعة سيئة بتونس [6] . و لما

---

[1] -ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص : 134 . القلصادي: المصدر السابق، ص : 115 .

[2] - الزركشي : المصدر السابق ، ص: 26 .

[3] - بوبة مجاني : المدارس الحفصية : نظامها و مواردها ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة منتوري قسنطينة ، العدد : 12 ، السنة : 1999 ،ص : 158 .

[4] - الونشريسي : المصدر السابق، ج : 7 ، ص ص : 131 – 226 . الرصاع : فهرسة الرصاع ، تحقيق محمد العنابي ، المكتب العتيقة ، تونس ، 1967 ، ص : 123 .

[5] - الزركشي : المصدر السابق ، ص : 51 .

[6] - يشير الزركشي أن أبا حفص عمر الحفصي بلغه أن الفندق سكنه أهل السرف ، فأمر ببناء مدرسة للعلم ، فبنى مدرسة المعرض التي تسمى أيضا المدرسة المعرضية . انظر: الزركشي : المصدر السابق ، ص : 51.

كمل بناؤها جلس فيها المدرس الشريف أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب كتاب " المشرق في علماء المغرب" و وجه للمدرس قرطاسين من ذهب و فضة و قال له : " فرقها على كل من تجد في المدرسة" فسمع الناس ذلك فجاءها من مدارس أخرى حتى امتلأت و لم يجد أحد أين يجلس [1] .

- **المدرسة العنقية** : أنفقت على بنائها أخت السلطان الحفصي أبي يحيى أبي بكر (617 هـ - 1317 م / 747 هـ - 1347 م) في سنة 734 هـ / 1333 م و كان افتتاحها في سنة 742 هـ / 1341 م [2] .

- **مدرسة ابن تافراجين** : (الحاجب الحفصي) ، أنشأت قبل سنة 766 هـ / 1364 م ، و سميت بهذا الاسم لأن الشيخ الحاجب أبي محمد عبد الله بن تافراجين عندما توفي دفن بمدرسته الكائنة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة [3] .

- **المدرسة السجومية** : أمر ببنائها الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد ولي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز سنة 832 هـ و أكملها خليفته أبو عمرو عثمان ، فافتتحها في سنة 841 هـ [4] . و في عهد

1- الزركشي، المصدر السابق، ص: 54

2- عند افتتاح المدرسة طلبت من أخيها السلطان أبي يحيى أن يكون قاضي الجماعة ابن عبد السلام مدرسا في مدرستها فأسعفها فكان يقسم الجمعة بين المدرستين ، ثم إن الحرة عزلته من مدرستها و نسبته للتفريط و قدمت مدرسا الشيخ الفقيه أبا عبد الله محمد بن سلامة .أنظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص ص : 71-77 .

3- يذكر أن هذه المدرسة كائنة الآن بأسفل نهج سيدي إبراهيم مما يلي حوانيت عاشور و قد صارت محل سكنى . أنظر : الزركشي: المصدر نفسه ، ص : 101 .

4- نفسه ، ص ص : 132 ، 136 ، 139 . الرصاع : المصدر السابق ، ص ص : 141-142 .

أبي عمرو الحفصي (839 هـ / 1433 م – 893 هـ/1488م) تم بناء ثلاث مدارس و هي مدرسة صولة [1] التي كانت تتواجد بجوار دار الشيخ الصالح سيدي محرز بن خلف و الساقية بإزائها ، إضافة إلى المدرسة العثمانية[2] ، كما مول القائد الحفصي نبيل بناء مدرسة شرع فيها في سنة 850 هـ / 1446 م .

- **المدرسة المستنصرية** : كانت هذه المدرسة تتواجد في طرابلس التي كانت تعد أيضا من المراكز الثقافية الكبرى ، و يذكر القلصادي أنه حينما مر بطرابلس في أواسط القرن التاسع الهجري نزل بمدرسة بها اسمها : مدرسة ابن ثابت [3] .

بعد تحليلنا استنتجنا أن معظم المدارس كانت متواجدة في تونس ، أما عن باقي المدن الحفصية الكبيرة فلم تكن بها مدارس كثيرة فالمصادر المتأخرة تشير أن مدينتي قسنطينة و بجاية كانت بهما مدارس لكن لا يعرف من بناها و من مولها ما عادا بعض الإشارات في كتاب : عنوان الدراية [4] .

3- **نظام المدرسة و مواردها** : اختلفت المدرسة في المغرب الأوسط و الأدنى عن المؤسسات التعليمية الأخرى مثل الكتاتيب و الجوامع ، إذ امتازت بتوفرها على العديد من المرافق و بجهازها الإداري الذي يشرف على تسيير المدرسة و رعايتها خدمة للطالب و المعرفة . و للتأكيد على ذلك يشير صاحب

---

[1]- نفسه ، ص ص : 135 – 136 .

[2]- الزركشي : المصدر السابق ،ص : 142 . القلصادي : المصدر السابق، ص ص : 112 – 113 .

[3]- الزركشي: المصدر السابق، ص : 124 .

[4]- هي مدارس علم فيها كبار المشايخ مثل الشيخ أبي إسحاق بن العرافة و الشيخ أبي سعيد بن تونارت الدكالي أحد الفقهاء المحصلين لمذهب المالك رضي الله عنه و كان من المدرسين ببجاية .انظر : الغبريني : المصدر السابق ، ص : 222 .

" المؤنس " أن أبا عمرو عثمان الحفصي شيد مدرسة في زنقة (شارع) الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف و جعل فيها مسجدا للصلاة و درسا لقراءة العلم [1] و مأوى لسكنى الطلبة [2]... ونفس المرافق تقريبا نجدها في الزوايا[3].

- **طلاب المدرسة** : من خلال اطلاعنا على المصادر و الدراسات الحديثة التي اهتمت بالجانب التعليمي و الثقافي في المغرب الأوسط و الأدنى استنتجنا أن المدرسة لم تكن مركزا لتلقي العلم و المعرفة فقط بل كانت تتكفل أيضا بالجانب الاجتماعي للطالب و تسعى إلى حل مشاكله ، مثل : توفير المسكن للطلاب و منحهم مبلغا ماليا شهريا يقتطع من موارد المدرسة من الأوقاف مثل الأساتذة و باقي الموظفين، و بعض المدارس كانت تقدم كسوة للطالب مجانا وسنويا . و تشير المصادر أن أقصى مدة التكفل هي سبع سنوات[4].

و كانت الأولوية في هذه الامتيازات تمنح للطلبة الغرباء عن المدينة خاصة الطلبة الوافدين من الدول الإسلامية المجاورة[5] كما كانت المدرسة في الدولتين ، تخصص مساكن للزوار من العلماء على الخصوص ، و يشير القلصادي في رحلته أنه أقام في مدرسة ابن ثابت عدة ليال و أيام [6] و هي مدرسة تتواجد بطرابلس .

1- " الدرس لقراءة العلم: " يقصد به حجرات الدراسة و المكتبة ، و بعض المدارس كانت تتوفر على مئة حجرة للدراسة . انظر : الحسن الوزان المصدر السابق، ص : 132 .

2- ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص : 156 .

3-نفسه، ج: 1 ص ص : 131 –132 .

4-الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 347 ، 363 ، 383 . الحسن الوزان: المصدر السابق ج: 1 ، ص ص : 132 – 227 .

5-الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 263 . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج : 1 ، : 227 .

6-القلصادي : المصدر السابق ، ص : 124 .

و إذا كانت المدرسة تقدم هذه الامتيازات للطلاب ، لتوفير الراحة لهم و بالتالي التركيز على المعرفة و البحث دون الانشغال بأمور أخرى ، فإنها في المقابل كانت تفرض على الطلاب احترام النظام العام للمدرسة مثل :

- أن يلتزم الطالب بالبيت الذي عينه له ناظر المدرسة [1] .
- الإلمام بمبادئ العلوم إلماما تاما [2] .
- المواظبة في حضور الدروس إلا في حالات استثنائية مثل : المرض أو زيارة الأهل مع التفرغ للعلم دون الانشغال بأمور أخرى [3].
- و عموما فإن المدرسة العبد الوادية و الحفصية تميزت بنظامها الصارم و هي في الحقيقة خاصية تواجدت في جميع مدارس المغرب و حتى الأندلس فهدفها الأساسي تكوين الطالب و تقوية معارفه في مختلف العلوم النقلية و العقلية ، و لم تكن تتسامح مع الطلبة الذين لا يحترمون هذا النظام و ذلك بفصلهم نهائيا من المدرسة.

- **موظفو المدرسة** : إذا كان الطلاب و الأساتذة يشكلون مع بعض العناصر الأساسية التي تتكون منها المدرسة في المغرب الأوسط و الأدنى ، فإن فئة أخرى من الفاعلين كان لها دور كبيرا في إنجاح الموسم الدراسي و هي : فئة الموظفين . فمن هي هذه الفئة ؟ .

يأتي على رأس هذه الفئة ناظر المدرسة ، فهو المسير الأول لها و المشرف على الأمور العلمية و الإدارية و يعين من قبل الحاكم أو مؤسس المدرسة وفقا لشروط

[1] – الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 131 .
[2] – الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 131 .
[3] – الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 124- 125 .

و مقاييس محددة [1] و يقتطع مرتبه الشهري من أوقاف المدرسة أو من التبرعات التي تقدم من المحسنين و أصحاب الخير [2] .

و بالإضافة إلى المهام الأساسية المرتبطة بالعملية التعليمية فإن ناظر المدرسة يقيم جميع الصلوات ، مع الملاحظة أن المدارس الكبرى و نظرا لتشعب مهام الناظر تلجأ إلى تعين إمام و مؤذن خاص بمسجد المدرسة علما أن الناظر هو أيضا معرض للفصل إذا ثبت عليه تهاون أو تقصير فيستبدل بناظر آخر [3].

إضافة إلى الناظر يندرج ضمن فئة الموظفين العمال و هم الذين يشرفون على استغلال الأوقاف و استخلاص مواردها [4] . و يختلف عددهم من مدرسة إلى أخرى تبعا لحجم تلك الأوقاف [5] . كما نجد أيضا ضمن هذه الفئة المشرف على المكتبة و القومة و البوابون و مهمتهم التكفل بحفظ التجهيزات المدرسية و حراستها و تشغيلها و منع الغرباء من دخول المدرسة إلا بإذن معين [6].

- **أساتذة المدرسة :** يقوم بتدريس الطلاب في المدرسة أساتذة و شيوخ متضلعون مبرزون في مواد مختلفة ، يتناوبون على التدريس في الصباح و المساء [7] و يحاضرون في بعض العلوم في القاعات المدرسية و الحلقات

---

[1]- تأتي على رأس هذه الشروط أن يكون الناظر قد مارس مهنة التعليم لعدة سنوات و أن يكون متبحرا في العلوم أنظر : وداد القاضي : المدارس في المغرب ... المقال السابق ، ص : 140 .

[2]- الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 163 – 267 – 348 .

[3]- الونشريسي : المصدر السابق: ج : 7، ص ص : 73 ، 92 ، 112 ، 113 ، 123 ، 140 .

[4]- نفسه ، ص ص : 91 ، 134 ، 140 .

[5]- نفسه ، ص : 140 .

[6]- نفسه ، ص : 85 . ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 230 . وداد القاضي :المدارس في المغرب... المقال السابق ، ص : 146 .

[7]- الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 227 .

المسجدية [1] . و كان لكل فرع من فروع العلوم رئيس من أساتذته و مهمته التنسيق بين مختلف أساتذة المادة الواحدة [2]. و ما يلاحظ أن هذه المناصب العلمية لم تكن تتوفر إلا في المدارس الكبيرة حيث يتعدد أساتذة المادة الواحدة [3]، و يمكن للأستاذ أن يدرس مادتين مختلفتين و في مدرستين متقاربتين مع العمل في القضاء [4].

إن مهمة تعيين الأساتذة في المدارس كانت في غالب الأحيان من اختصاص الحاكم بواسطة ظهير سلطاني [5] و من ذلك ما ذكره الزركشي حول إنشاء مدرسة عنق الجمل أو العنقية بتونس إذ عين السلطان أبو يحيى أبو بكر قاضي الجماعة ابن عبد السلام مدرسا في المدرسة بطلب من أخته [6] ، كما أن عزل الأساتذة كان من اختصاص الحكام فنفس المدرس عزلته أخت السلطان التي كانت تدعى بالحرة [7]. كما جاء في" المعيار" أن السلطان الزياني قد عزل مدرس الفقه بعد أن درس هذه المادة لمدة شهرين أو ثلاثة [8] .

---

[1]- الأخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص : 201 .

[2]- يشير يحيى بن خلدون في البغية أن أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشريف و هو أحد علماء تلمسان من : " صدور المدرسين الآن ... " . انظر : يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 120 – 121 . و يشير بن مريم في نص له أن الفقيه محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني : " عرضت عليه رئاسة الفقه بمدرسة العطارين" . انظر بن مريم : المصدر السابق ، ص : 264 .

[3]- وداد القاضي :المدرسة في المغرب ....المقال السابق ، ص : 148 .

[4]- مثل قاضي الجماعة بن عبد السلام الذي كان يجمع بين التدريس في المدرسة الشماعية و المدرسة التوفيقية بتونس . انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص ص : 71-77 .

[5]- عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 2، ص : 351 .

[6]- الزركشي : المصدر السابق ، ص 71 .

[7]- نفسه : ص : 71 .

[8]- الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 347 .

لم تشر المصادر بشكل واضح إلى المرتبات التي كان يتقاضاها الأساتذة ، لكن مرتباتهم كانت تختلف من أستاذ إلى آخر حسب أهمية المادة التي كانوا يدرسونها و في هذا المجال يشير حسن الوزان قائلا : " ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مئة أو مئتا مثقال حسب نوع الدروس المكلفين بإلقائها" [1]، كما يشير الزركشي أن أبا حفص عمر الحفصي حينما أسس المدرسة المعرضية سنة : 683 هـ / 1284م خصص للمدرس بمدرسته مرتبا قدره عشرة دنانير في الشهر [2] و من خلال المثال الذي ساقه الزركشي يتضح أن مرتبات الأساتذة كانت متساوية ، و مما يستنتج أن نظام المرتبات كان يختلف من مدرسة إلى أخرى و من حاكم إلى آخر و يشير الونشريسي في معياره أن بعض المدارس كانت تقدم مرتبات شهرية و أخرى سنوية [3] ، هذا إضافة إلى أن بعض المدارس كانت تقدم منحا للأساتذة حسب إيراد أوقاف المدرسة [4] و كان لأساتذة المدارس معيدون و نواب ، فالمعيد هو الشخص الذي يعيد الدرس بعد أن يلقيه الشيخ ، فهو الذي يساعد على نشر علم الشيخ و إلقاء دروسه و تثبيت إملائه على الطلبة شرحا و بسطا كما يقوم المعيد بمساعدة الطلبة على إعادة المحفوظات و المراجعة و المذاكرة فهو الوسيط بين الشيخ و الطلبة و هو أيضا دون الشيخ دراية و أعظم معرفة من عامة الطلبة . و غالبا ما يكون للأستاذ الواحد معيد واحدا و قد يكون له معيدان[5] .

أما النائب فهو المدرس الذي يحل محل الشيخ فيتناوب معه التدريس ، فإذا كان المدرس مدير مؤسسة تربوية ، وظف له نائبا يريحه من التدريس في أيام معينة

---

[1]- الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 132 .

[2]- الزركشي : المصدر السابق ، ص : 51 .

[3]- الونشرسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 348 .

[4]- نفسه ، ج : 7 ، ص ص : 347 ، 336 ، 383 .

[5]-عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص : 351 .

لكثرة انشغاله بالإدارة أو بوظائف أخرى كالقضاء [1] . و لكي يعين أستاذ في مدرسة معينة ، يجب أن تتوفر فيه عدة شروط منها : أن يكون وافر العلم في اختصاصه ، مطلعا على أمهات الكتب و الشروح و الحواشي و أن يكون صاحب خط جيد ، سهل العبارة ، قادرا على السيطرة على المادة بحسن حديثه و خفة روحه و سرعة بديهته ، و من الصفات المرغوبة في المدرس النـــزاهة العلمية و احترام القواعد العلمية و ما تتطلبه من صرامة المنهج مثل الحفظ و التثبت و اليقظة و النقد و الصدق و الإنصاف [2].

- **موارد المدرسة :** لم تكن مرتبات الأساتذة النفقات الوحيدة للمدرسة بل كانت أيضا تنفق على عمال الوقف و موظفي المدرسة و منح الطلبة و صيانة و تجديد تجهيزات المدرسة و استقبال زائري المدرسة و اقتناء الكتب و توفير المواد المستهلكة مثل المواد الغذائية .

و لما كان على المدرسة توفير الأموال اللازمة لتغطية كل هذه النفقات فإن الوقف كان من أهم المصادر التي استندت عليها المؤسسات التعليمية و الخيرية في المغرب الأوسط و الأدنى . و كانت الأوقاف تتمثل عادة في الدكاكين أو البيوت أو الحمامات أو الأراضي أو قدر معين من المال من عوائد عين خاص [3]. و كانت هذه الأوقاف لصيقة بالمدرسة و ما أن تفتح حتى يوقف عليها [4]، فلا يمكن للمدرسة أن تبدأ في نشاطها و خزائنها فارغة من المال .

---

[1]- عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص : 351 .

[2]-نفسه ، ص : 351 . المهدي البوعبدلي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان و المغرب عبر التاريخ ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، جويلية و أوت 1975 .

[3]- الزركشي : المصدر السابق ، ص : 51 . الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 151 .

[4]- ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص : 134 .

و تميزت الأوقاف بمكانة أساسية لأنها كانت تعد المصدر الأساسي في تغطية مختلف نفقات المدرسة و بالتالي الاستمرار في النشاط [1] .

و يسوق لنا الحسن الوزان في رحلته عن العلاقة الموجودة بين المدرسة و الوقف قائلا : " و لم يبق اليوم سوى دخل بسيط مكن من الاحتفاظ بالأساتذة الذين يتقاضى بعضهم مئتي مثقال و بعضهم مئة و بعضهم أقل من ذلك و لعل هذا أحد الأسباب التي أدت إلى انخفاض القيمة الفكرية ليس في فاس وحدها بل في جميع مدن إفريقية " [2]. و من هنا تتأكد أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس مثلها مثل بقية المؤسسات التعليمية و الخيرية الأخرى .

تشرف ثلاثة أطراف على الأوقاف و إيراداتها ، قبل توزيعها وفق وصية الواقف و شروطه حول واجبات وحقوق المدرسة [3] ، و الأطراف الثلاثة هي : ناظر الوقف ، و القاضي (أو المفتي) و ناظر المدرسة .

و يخضع كل من ناظر الوقف و المدرسة للائحة الوقف و قد ترك لنا القضاء الكثير من الفتاوى حول الوقف خاصة في العصر الحفصي [4] ، و من الأحكام التي كانت تسري على الأوقاف فيما يخص ناظر الوقف ما يلي :

- لا يحق لناظر الوقف التبرع من أجل أعمال خيرية و غيرها من موارد الوقف [5] .

---

[1]- محمد محمد أمين : الأوقاف و الحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1980 ، ص : 240 .

[2]- الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 227 .

[3]- الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 161 .

[4]- نفسه ، ص : 134 .

[5]- نفسه ، ص : 140.

- لابد للناظر من مراعاة قصد المحبس [1].

- ليس على ناظر الوقف إقامة البينة على ما دخل بيده من فائدة الحبس و ما خرج ، و هو مصدق، فيما يدعيه من ذلك ما لم يقم دليل على كذبه [2] وهذا يدل على أن صدق الناظر و حسن سيرته من أهم شروط توليه هذه الوظيفة ، و يختار لها من أجل ذلك أساسا . كذلك يستشف على المدعي إقامة البينة على الناظر .

- إذا قام دليل بتفريط الناظر فعليه الضمان فيما فرط فيه [3] .

- من قدمه جماعة للنظر في الحبس لا يعزل إلا باتفاقهم بثبوت الموجب [4] .

- إذا توفي الناظر و ولي غيره فلكل بقدر عمله [5].

- و يمكن استنتاج الأحكام التالية فيما يخص الأوقاف و الموقوف عليهم :

- تختلف الأوقاف باختلاف واقفيها [6] و بالتالي يجب أن تصرف حسب ما نص عليه رسم التحبيس [7] و مما يلاحظ أن الواقف كان يضع لشروط تحدد من طرف ذوي العلم و تخرج عن الأعراف و القصد النبيل [8].

- يجوز وقف السلطان من بيت المال [1].

---

[1]- الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 141 .

[2]- نفسه ، ص : 140.

[3]-نفسه : ص ص : 479 – 480 .

[4]- نفسه ، ص ص : 92-93 .

[5]- نفسه ، ص ص : 92-93 .

[6]- نفسه ، ص : 123 .

[7]- نفسه ، ص ص : 215-217 .

[8]- نفسه ، ص : 348 .

- استواء المحبس عليهم في العقد يوجب استوائهم في القسمة [2].

- الحبس على المعنيين يصرف عليهم [3] ، كأن يوقف على طلبة مدرسة دون غيرهم ، أو على مرفق معين (مكتبة أو سكنى الطلبة) [4] و تبقى موارد الأوقاف ترد على المؤسسة التعليمية حتى و لو قل تلاميذها أو طلبتها [5].

- الأحباس على شيء معين لا تصرف في غيره [6].

- من وقف من متجره مبلغا معينا من المال على مسجد أو مدرسة فعلى كل من ملكه بعده دفعه [7].

- يصرف الفائض من موارد الوقف في إصلاح المحبس عليه (مسجد أو مدرسة أو كتاتيب) ، أو يحتفظ به لحين الحاجة إليه [8].

و كانت العادة أن يستلف السلطان من الأحباس و قرار الموافقة أو عدمها للناظر [9] .

- إذا تعطل مصرف الوقف يصرف في مثله [10].

---

[1]- الونسريسي : المصدر الصابق ، ج : 7 ، ص : 267 .

[2]- نفسه ، ص : 141 .

[3]- نفسه ، ص : 156.

[4]- نفسه ، ص : 334 .

[5]- نفسه ، ص : 156.

[6]- نفسه ، ص : 126 .

[7]- نفسه ، ص : 151.

[8]- نفسه ، ص : 145.

[9]- نفسه ، ص : 126 .

[10]- نفسه ، ص ص : 62 ، 136 ، 139 ، 143، 149 ، 218 .

- الوقف الذي تقادم و ضاعت عقوده و تعطل مصرفه ، يجوز صرف فوائده في مختلف سبل الخير [1].

- عدم قبول تحبيس اليهود على أوقاف المسلمين [2].

و مما يلاحظ أن تحبيس الأوقاف لم يكن حكرا مطلقا على الحكام ، بل كانت مبادرات للعامة في هذا المجال [3]، لكن تحبيس الأوقاف على المدارس و المساجد العظمى كان حكرا على السلطات الحاكمة في بلاد المغرب عموما [4] .

و ترى وداد القاضي أن طريقة تمويل المدارس ومصادرها[5] كانت تشكل حاجزا أمام استقلالية المدرسة ، فالحكام كانوا يقومون بعزل و تولية ما يشاؤون من الأساتذة و هو ما يثبت تحكم السلطات الحاكمة في المراحل التعليمية العليا ، هذا بالإضافة إلى تعرض الحكام لبعض العلماء بسبب آرائهم و مواقفهم [6]، و من هنا

---

[1]- جاء في " المعيار" أن والي بجاية أمر بتحويل جزءا من العوائد مثل هذا الوقف إلى طلبة العلم بالمرية بالأندلس . أنظر : الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 91-92 .

[2]- الونشريسي : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 65 .

[3]- وداد القاضي : المدرسة في المغرب ... المقال السابق ، ص : 165 .

[4]- نفسه ، ص : 172 .

[5]- غالبا ما كانت المدرسة تمول من طرف السلطان أو أحد أفراد أسرته أو أحد الولاة . أنظر : وداد القاضي : المدرسة في المغرب ... المقال السابق ، ص ص : 172- 173 .

[6]- في تاريخ بلاد المغرب عدة أمثلة حول تعرض الحكام للعلماء ، و من الأمثلة على ذالك تعرض ابن الأبار الأندلسي للقتل و حرق و إبادة مؤلفاته من طرف المستنصر الحفصي في سنة 658 هـ / 1259 م بسبب جرأته و بالتحديد بعد تأليفه لكتاب : " درر السمط في خبر الصبط " الذي تصادف تأليفه مع سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، و الذي كما يدل عليه عنوانه كان حول سيرة الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، لكنه يتعرض من خلاله لكل أسرة الرسول صلى الله عليه و سلم و العلويين عامة . أنظر : الغبريني : المصدر السابق ، ص ص : 257 – 261 .

و أمر المستنصر الحفصي بقتل علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الأندلسي النحوي المشهور عام 669 هـ / 1270 م . أنظر : الغبريني: المصدر السابق ، ص ص : 266 ، 268 . محمد بن مخلوف : المصدر السابق ج : 1 ، ص ، 197

نستخلص أن المدرسة في بلاد المغرب الأوسط أو الأدنى لم تكن مستقلة استقلالا كاملا ، مما جعل الحركة العلمية في بلاد المغرب عموما و المغرب الأوسط و الأدنى خصوصا تدور في الفلك الذي لا يغضب الحكام و السلاطين .

جـ- **أثر هذه المؤسسات في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين** : لعبت هذه المؤسسات دورا أساسيا في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين حيث لم تتأثر بالصراع السياسي و العسكري الذي كان قائما بين الدولة الحفصية و الزيانية خاصة في القرن السابع الهجري [1]، بل فتحت أبوابها للوافدين من العلماء و الطلبة في كلا البلدين . و لم يجد هؤلاء أي صعوبة للالتحاق بها [2] ، إما للتدريس و التعليم أو التعلم أو تنشيط المجالس الأدبية و المجالس الفقهية في المساجد المختلفة في حواضر الدولة الزيانية و الحفصية [3].

لقد ساهمت هذه المؤسسات فعلا في تمتين الروابط الثقافية رغم التطاحن العسكري الذي كان بينهما ، و كان من نتائج دورها هذا ، أن ظهر جيل من العلماء ساهم في تنشيط و تفعيل الساحة الثقافية في البلدين [4] ، بفضل تنقل العلماء و المدرسين و الطلبة و تيسير سبل ذلك لهم خاصا و رسميا [5] ، و أدى

---

[1]-عبد القادر زبايدية : مدينة تونس في العهد الحفصي ، دار سرس ، تونس ، 1981 ، ص : 80 .

[2]- تحفل المصادر التاريخية بالعديد من الأمثلة عن العلماء الزيانين الذين درسوا في الحواضر الحفصية مثل الفقيه أبي الحسن علي بن عمران بن موسى المليانى المعروف بإبن أساطير الذي درس في بجاية و بقي فيها حتى توفي . أنظر: الغبريني : المصدر السابق، ص : 199 .

و عن العلماء الحفصيين نشير إلى الفقيه و اللغوي أبو موسى عمران المشذلي البجائي الذي رحل إلى تلمسان و أسند إليه الزيانيون التدريس بالمدرسة التاشفينية . انظر : التنسي : المصدر السابق ص ص : 139-142 . التنبكتي : المصدر السابق ، ص : 215 .

[3]- نقولا زيادة : صانعو الحضارة العربية الإسلامية : المعلم ، مجلة العربي ، العدد 516 ، ص ص : 56-57 .

[4]- للوقوف على بعض النماذج من هؤلاء العلماء . أنظر : الرحلة في طلب العلم ، الفصل الرابع من هذه الرسالة.

[5]- نقولا زيادة : صانعوا الحضارة ..... المقال السابق ، ص : 61 .

ذلك كله إلى تبادل الرأي في الأمور الثقافية الخاصة و العامة ، فكان من ذلك هذه الثروة الثقافية المتمثلة في الكتب التي ألفها علماء أجلاء من الدولتين [1] .

لقد حافظت هذه المؤسسات العلمية سواء كانت مساجد أو مدارس على الصلات الثقافية و متنتها بحكم علاقة التجاور بين الدولتين ، و دور الحكام في تشجيع العلماء و توفير الظروف المادية و المعنوية الملائمة لطالبي العلم [2]، هذا إضافة إلى أن بعض الأمراء في الدولتين كانوا يحضرون إلى المجالس العلمية و الثقافية التي كانت تنظمها المؤسسات التعليمية [3] .

اضطلعت هذه المؤسسات بدور مشرق و عظيم في ربط العلاقات الفكرية و الثقافية بين البلدين في الوقت الذي تميزت فيه العلاقات السياسية بطابعها الصراعي و التنافسي [4] ، لتتحول بحق إلى منارة مشعة للإسلام و فكره و ثقافته في كبريات حواضر الدولتين مثل : تلمسان و بجاية و قسنطينة و تونس و طربلس ... يفد الطلاب العلماء إليها ، يستقرون فيها أو ينطلقون منها إلى مختلف حواضر المغرب الإسلامي أو المشرق ، و بفضل الحرية و الاستقلالية التي كانت تطبع هذه المؤسسات فقد تعددت حلقات الجدل و المناظرة التي كانت تعقد و التي كان يشرف عليها العلماء من الدولتين . و بالفعل ، لقد كانت هذه المؤسسات وراء نسج شبكة واسعة من العلاقات بين أبناء البلدين ، حتى و إن

1- نقولا زيادة : حماة و الحضارة ... المقال السابق، ص : 64

2-انظر : الرحلة في طلب العلم ، الفصل الرابع من الرسالة .

3-مثل السلطان يغمراسن الذي كان يدخل المسجد الجامع لسماع الدروس التي كان الشيوخ يلقونها على الطلبة و لاسيما دروس : " أبي إسحاق إبراهيم بن خلف بن عبد السلام التنسي " . انظر : محمد بن عمرو الطمار :تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1985 ، ص : 94 .كما سار على هذا السلوك سلاطين الدولة الحفصية مثل : أبي يحيى زكرياء و عمر بن أبي زكرياء مؤسس المدرسة المعرضية. انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص ص : 51-62 .

4-عبد الحميد حاجيات و آخرون : المرجع السابق ، ص : 424 .

اقتصرت على الفئة المتعلمة و المثقفة فكانت بحق مراكز التقى فيها أبناء الدولتين و تعارفوا و تبادلوا الأفكار و الآراء و حتى الزيارات [1].

[1] – انظر : الرحلة في طلب العلم ، الفصل الرابع من هذه الرسالة .

الفصل الرابع

دور الحكام و العلماء في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين

أ - عوامل نشاط الحركة الثقافية بين البلدين

1 - عناية الحكام بالعلم و العلماء

2 -دور المؤسسات التعليمية

ب. انعكاساتهـــا على البلديـــن

جـ . الرحلـــة في طلب العلـــم

د . الهجـــرة الأندلسيـــة ودورها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين

أ.عوامل نشاط الحركة الثقافية في البلدين : تأثرت الحركة الثقافية في المغربين الأوسط و الأدنى خلال القرن 7 و 9 هـ 13 و 15 م بعدة عوامل من أهمها ما يلي:

1- عناية الحكام بالعلم و العلماء :

أولى الحكام في الدولتين عناية خاصة بالعلم و العلماء ، فقد كان لأمراء بني زيان و سلاطينهم رعاية مستمرة للعلم و للأدب لأن من بينهم من كان فقيها و شاعرا و أديبا و فنانا مثل السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان مولعا بالفن و العمران [1] و الأمير الفقيه أبي محمد بن عبد الله بن عثمان بن يغمراسن المعروف بابن أبي حفص و الشيخ الفقيه أبي سليمان داوود علي كبير بني عبد الواد و الفقيه أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي يحى يغمراسن المعروف بابن شانشة[2] و شجع هؤلاء الأمراء و السلاطين العلماء على الاجتهاد في الدرس و تنشيط الحركة الفكرية و كانوا في بعض الأحيان يحضرون إلى المجالس و المنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية سواء تعلق الأمر بدروس في العلوم النقلية أو العقلية كما شجع الحكام العلماء الوافدين من أقطار المغرب الإسلامي للاستقرار في تلمسان و التدريس في مدارسها [3] وأغدقوا عليهم الأموال و الهدايا و شجّعوهم على التأليف، ففي عهد السلطان يغمراسن استقر في تلمسان : الشيخ العالم أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680 هـ /1280 م) و أخوه الحسن (ت 706 هـ/1306 م)[4]

---

[1] يحى بن خلدون : المصدر السابق، ج:1 ، ص:216

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج:2 ، ص:320

[3] يحى بن خلدون : المصدر السابق ، ج:1 ، ص: 114

[4] نفسه ، ص:114

لم تقتصر عملية تشجيع العلماء على التدريس و التأليف بل هناك من السلاطين من فتحوا قصورهم لتوظيف العلماء و الأدباء في مناصب حكومية عالية [1] مثل السلطان يغمراسن الذي اختار أبا بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي (ت 686 هـ /1287 م) لكتابة الرسائل الموجهة للعاهل الحفصي في تونس و إلى الأقطار الإسلامية الأخرى [2] و في عهد السلطان أبي حمو موسى الأولى تحولت تلمسان إلى منارة للعلماء يقصدها العلماء و الأدباء و أهل الفكر و من أبرزهم: ابني الإمام : أبو زيد و أبو موسى، فبنى السلطان لكل واحد منهما منزلا و أسس لهما مدرسة و هي المدرسة الأولى التي تشيد بمدينة تلمسان في بداية عهده [3] و كان هذا السلطان يكثر من مجالستهما و الاستماع إلى نصائحهما و علمهما الغزير [4] و اختصاصهما بالفتوى و الشورى [5] ، إن كتب التاريخ تحفل بالعديد من الأمثلة حول الاهتمام الذي كان يوليه السلطان للعلم و العلماء على اختلاف مشاربهم و تخصصاتهم ، فهذا السلطان أبو تاشفين الأول قد قرب إليه أبا موسى عمران المشدالي البجائي (ت : 745 هـ/1345 م) و عينه مدرسا بالمدرسة الجديدة التي أسسها بتلمسان كما كانت لقاضي الجماعة أبا عبد الله محمد بن منصور المعروف بابن هديه (ت : 735هـ/1335 م) مكانة متميزة عند أبي تاشفين الأول [6] الذي

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج:2 ، ص : 321

[2] الطاهر توات : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة 1993، ص:113 . يقال أن السلطان الحفصي المستنصر أبا عبد الله بن ابي زكرياء الحفصي طلب ابن الخطاب ليكون كاتبه الخاص ، إلا أن هذا الأخير اعتذر ورد له أمواله . أنظر : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج :2، ص ص : 226-227.

[3] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ج:2 ، ص: 322

[4] يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج:1 ، ص :130. ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص ص : 265-266.

[5] التنسي : المصدر السابق، ص : 139 . عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياني ، حياته و آثاره الجزائر 1974 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ص ص:44-46.

[6] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج:2 ص:322.

عرف بحرصه على إقامة المجالس العلمية و الأدبية في قصره و فيها كانت تدار المناقشات بين الفقهاء و الأدباء و تشير كتب التاريخ أن الشيخ العالم الفقيه موسى بن عمران بن موسى المشدالي كان له فيها دور بالغ الأهمية [1] .

لقد بلغت عناية سلاطين بني زيان بالعلم و العلماء درجة كبيرة في عهد السلطان مجدد الدولة الزيانية أبي حمو موسى الثاني خاصة و أنه كان واسع الإلمام بالعلوم و الفنون و لا سيما الأدب و خاصة الشعر [2] و ألف كتابا سماه : "واسطة السلوك في سياسة الملوك" و كان ينظم مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء و فحول الشعراء [3]

اهتم أمراء و سلاطين الدولة الحفصية هم أيضا بالعلم و العلماء بدءا بالترحيب بالطلبة و العلماء و توفير أماكن الإقامة لهم و تقديرهم حق قدرهم و تمكينهم من ممارسة نشاطهم هذا فضلا عن الجوائز التي كان يمنحها الحكام للشعراء و بعض العلماء و الاعتماد عليهم في المهام الجسام [4] و تبجيلهم في المجالس على غيرهم [5] و حث العلماء على التأليف [6] و من مظاهر عناية الحكام الحفصيين بالعلم و العلماء إنشاءهم العديد من المدارس و المكتبات مثل المدرسة العنقية التي أنفقت على بنائها أخت السلطان أبي يحى بن أبي بكر سنة 741 هـ / 1341 م [7] و عند افتتاحها طلبت من أخيها السلطان أبي بكر أن يكون قاضي الجماعة ابن عبد السلام مدرسا بها [8]

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج:2 ، ص: 322.

[2] التنسي : المصدر السابق، ص:161.

[3] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ج:2 ص :323.

[4] بعث السلطان الحفصي أبو يحى قاضي الزواج بمدينة تونس : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن ابراهيم النفزاوي و الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي إلى السلطان الزياني أبي تاشفين بن موسى . انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص ص 18-19

[5] بوبة مجاني : المدارس الحفصية...المقال السابق، ص: 161 . عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص : 464.

[6] نفسه ، ص: 465

[7] الزركشي : المصدر السابق ،ص ص : 71-77

[8] نفسه، ص ص: 71-77

كما أنشأ أبو زكرياء يحي الأول الحفصي مؤسس الدولة الحفصية خزانة الكتب بالقصبة (قصر الحكم) و حرص على اقتناء الكتب من كل مكان ثم ضاعف خليفته المستنصر الحفصي عنايته بها بتعميرها أكثر بالكتب [1] . و من الأمراء و السلاطين الحفصيين من كان مشاركا في العلم و الأدب و لذلك كان يألف أهل العلم مثل الأمير أبو يحي زكرياء [2] و السلطان عمر ابن أبي زكرياء الذي كان نزيه النفس محبا للعلم و أهله و لما بلغه أن الفندق الموجود قرب دار الغوري له سمعة سيئة حوله إلى مدرسة و سماها المدرسة المعرضية و زودها بمجموعة من الكتب النفيسة في كل فن من فنون العلم [3] .

و كان سلاطين و أمراء الدولتين الزيانية و الحفصية يتنافسون في جلب العلماء و الأدباء إلى قصورهم للاستفادة منهم و توظيفهم في مناصب عالية فعندما سمع المستنصر أبو عبد الله بن أبي زكرياء الحفصي أن العاهل التلمساني يغمراسن اختار ابن الخطاب المرسي الأندلسي كاتبا خاصا له سارع إلى طلبه للكتابة و بعث له أموالا كثيرة لهذا الغرض ، و كان من عادة السلطان المستنصر استدعاء الكتاب و المشاهير و العلماء [4] .

2- دور المؤسسات التعليمية : أدت المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها دورا بارزا و أساسيا في تنشيط الحركة الثقافية في البلدين، لما كانت توفره من ظروف و أسباب التحصيل و النجاح مثل حسن استقبال طلبة العلم و توفير أماكن الإقامة لهم و التكفل بهم عند حاجتهم ، هذا إضافة إلى بساطة لوائح الالتحاق بالمؤسسات التعليمية

---

[1] جاء في تاريخ الدولتين أن السلطان أبا يحي زكرياء اللحياني (711-717 هـ/1311-1317 م) باع جميع الذخائر التي كانت في القصبة ،حتى الكتب التي كان الأمير أبو زكرياء قد جمعها . أنظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص : 26

[2] نفسه ، ص : 62

[3] نفسه ، ص: 51

[4] نفسه ج: 2 ص: 427

و عدم تمييزها بين أبناء البلاد و الوافدين عليها من البلدان الإسلامية الأخرى [1] . فالمدرسة في كل البلدين كانت ملحقة بجناح خاص لإيواء الطلبة الغرباء و الفقراء و عابري السبيل منهم [2] و مكتبة (خزانة) تضم كتبا محبسة لفائدة الأساتذة و الطلبة و تحبس من أجلها عقارات عمرانية و أرضية للإنفاق عليها و على الطلبة المنتمين إليها و الأساتذة الذين يدرسون بها و الطاقم الإداري و عمال النظافة و الصيانة و الترميم [3] .

أما المساجد فبالإضافة إلى كونها مقر للعبادة ، تلقى فيها الدروس و تنظم فيها المناظرات العلمية و الحوارات الفقهية و المطارحات الأدبية و اللغوية و دروس الوعظ و الإرشاد و الإفتاء [4] و عموما لعبت المساجد في المغربين أدوارا مختلفة دينية و اجتماعية و ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية [5] في البلدين .

كما كان للزوايا دور في نشر العلم و الثقافة و يعرفها ابن مرزوق قائلا : " هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين "[6] و رغم أهميتها ، فإن الزوايا لم ترق إلى مستوى المدرسة و المسجد في التعليم .

ب – **انعكاساتها على البلدين** : لقد كان من نتائج الحركة الثقافية في البلدين أن ظهر جيل من العلماء و المفكرين و طلاب العلم كان لهم الفضل الكبير في تنشيط الحركة

---

[1]– التنسي : المصدر السابق ، ص ص : 139 – 142 .

[2]– محمد القبلي :المرجع السابق ، ص ص : 51-53 .

[3]– نفسه ، ص ص : 61-62 . بوبة مجانة : المدارس الحفصية ... المقال السابق ، ص : 159 .

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20 م) الجزء الأول الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة 1981 .

[5] -Bourouiba (R) : les inscriptions commemoratives .
des mosques d'algerie .O.P.U Algerie 1984 , P : 127 .

[6]– ابن مرزوق : المصدر السابق ،ص : 413 . ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص : 17 .

الثقافية بانتقالهم إما من الدولة الزيانية نحو الدولة الحفصية أو العكس ، تدفعهم الرغبة في المزيد من الدرس و التحصيل على الشيوخ في كلا البلدين[1] .

1- العلماء و طلاب العلم الوافدون على الدولة الحفصية من الدولة الزيانية :

- **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى** : رحل إلى المشرق العربي و لقي الكثير من الشيوخ ثم عاد إلى بلاد المغرب و استقر ببجاية ، فعلم بها اللغة العربية و الفقه و أصول الدين و التصوف . و كان له في التلقين تقدم و نظر و لم يكن لغيره[2].

- **أبو الحسن بن عمران بن موسى المليانى** : يعرف بابن أساطير رحل إلى بجاية و لقي بها العديد من الشيوخ و كان ضليعا في الفقه و أصول التصوف و الطب و التوثيق و تصدر للتعليم ببجاية حتى توفي بها في حوالي سنة 670 هـ/ 1271 م .[3]

- **أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف** : رحل إلى بجاية و تلقى معظم تعليمه عن شيوخها ، كان ضليعا بالفقه حتى قيل عنه " خزانة مالك " عكف على التدريس و تولى القضاء ببجاية و قسنطينة و بسكرة و الجزائر و توفي سنة 686 هـ /1287 م[4] .

- **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر** : يعرف بالتلمساني اشتهر بالفقه و الأدب ألف المنظومة المشهورة في الفرائض التي عرفت "بالتلمسانية" و أخرى في السير و أمداح النبي صلى الله عليه و سلم و لقي بن عصفور بن عميرة و ابن محرز

---

[1]- ابن مريم :المصدر السابق ، ص : 166 .

[2]- الغبرني : المصدر السابق ، ص : 171 .

[3]- نفسه ، ص : 1999 .

[4]- نفسه ، ص ص : 91-92 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1، ص : 202 .

و أجازوا له و عنه روى جلة من العلماء منهم أبو عبد الله بن عبد الملك و توفي عام 699 هـ / 1299 م .[1]

- **أبو تمام الواعظ الوهراني** : من علماء القرن السابع الهجري اشتهر بالفقه و التصوف رحل من وهران إلى بجاية و اشتغل فيها بالتدريس بجامعها الأعظم وكان له أتباع من الجمهور و تبتل و كد في العبادة ، كما كان له مجلس يروق الحاضرين و يسر الناظرين [2].

- **أبو عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي** : من مشاهير الفقهاء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني حينما استولى على كل بلاد المغرب ، اشتغل في القضاء في مدينة فاس و كان إماما مبرزا في الفقه على مذهب مالك و تفقه بالأخوين ابني و عنه أخذ جماعة من أعيان تونس حين قدم مع جيش السلطان المريني ، توفي بالوباء بتونس سنة 749 هـ / 1348 م [3].

- **أبو عبد الله محمد بن النجار** : تلقى تعليمه بالمغرب الأقصى و كان من الشيوخ الذين استقدمهم أبو الحسن المريني معه إلى إفريقية و توفي سنة : 749 هـ / 1348 م [4] .

- **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البرشكي ثم التلمساني** : الشهير بابن الإمام ، رحل صغيرا إلى تونس ، التقى بكبار العلماء كشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 202 .

[2]- الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص: 29 . الغبريني : المصدر السابق ، ص : 180 .

[3]- ابن القاضي : المصدر السابق ج : 2 ، ص ص :136-137 ، محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ص : 221 .

[4]- ابن القاضي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 264 . القلصادي : المصدر السابق ، ص : 102 .

و تتلمذ عن تلاميذ ابن زيتون و أبي عبد الله بن شعيب اشتغل مع أخيه في التعليم و التدريس بالجامع الأعظم ثم في المدرسة التي أنشأها الزيانيون [1].

- **أبو موسى عيسى بن محمد بن عد الله البرشكي ثم التلمساني** : الشهير بابن الإمام رحل مع أخيه عبد الرحمن إلى تونس و عاد صحبته إلى تلمسان بعد إنهاء تعليمهما بها فتصدرا للتعليم و التدريس بجامعها الأعظم ثم بالمدرسة التي أنشأها الزيانيون باسمهما تكريما لهما [2] .

- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني** : اشتهر بالمقري الكبير برع في الفقه و حج و لقي أعلاما و أخذ عنهم كأبي عبد الله البلوي و الآبلي و ابني الإمام و عمران المشدالي و القاضي الشريف السبتي و القاضي بن هدية و ابن عبد السلام ... و عنه أخذ الإمام الشاطبي و لسان الدين بن الخطيب و ابن خلدون ... و ألف كتاب في القواعد اشتمل على ألف و مائتي قاعدة على مختصر بن الحاجب الفرعي و الحقائق و الرقائق في التصوف . حج و مر بتونس ثم استقر بفاس حيث تولى قضاء الجماعة [3].

- **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني** : الشهير بالأبلي ولد في تلمسان عام 681 هـ / 1282 م ، اشتهر بالفقه كان من مجموعة الشيوخ الدين اصطفاهم أبو الحسن المريني لاصطحابه إلى إفريقية حينما استولى عليها و أخذ عن أبي الحسن التنسي و ابني الإمام و ابن البناء و عنه أخذ ابن خلدون و

---

[1]- ابن القاضي : المصدر السابق ، ج : 3 ، ص ص : 70-71 . ابن مريم : المصدر السابق ص ص : 123-126 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص ص : 219 – 220 . الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص ص : 201 – 213 .

[2]- نفس المصادر المذكورة أعلاه . يحي بن خلدون : المصدر السبق ، ص : 15 . عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ص : 36 .

[3]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 232 .

محمد بن الصباغ المكنسي التلمساني و ابن مرزوق الجد و سعيد العقباني و ابن عرفة [1].

- **أبو عبد الله محمد بن يحي الشريف الحسني التلمساني** : ولد سنة 710 هـ بتلمسان ، اشتهر بالفقه و المنطق ، انتقل إلى تونس سنة 740 هـ / 1339 م فأخذ عن بعض شيوخها ، كما أخذ عن ابني الإمام و الآبلي و القاضي التميمي و عمران المشدالي و ابن زيتون و عنه أخذ ابناه عبد الله و عبد الرحمن و إبراهيم الثغري و ابن خلدون و ابن مرزوق و من تآليفه : " المفتاح في أصول الفقه" و "شرح جمل الخونجي " و قال عنه الإمام بن مرزوق الحفيد : " شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره بإجماع " وفي تلمسان تصدر للتدريس إلى أن توفي عام 771هـ / 1369 م [2].
- **محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي** : ولد بتلمسان عام 711 هـ / 1311 م ، اشتهر بالفقه ورواية الحديث و الأصلين جاب بلاد المغرب كلها و الأندلس و رحل إلى المشرق في سبيل العلم ، و تصدر مدة للتدريس ، و توفي سنة : 782 هـ / 1380 م بالقاهرة [3].
- **إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** : من مشاهير الفقهاء و مفتي تنس ارتحل إلى المشرق حاجا فأخذ عن الكثير من علماء تونس ثم عاد إلى بلاده حيث قرأ على جماعة و من تآليفه شرح التلقين لعبد الوهاب في عشرة أسفار ، فضاع الشرح في حصار تلمسان و من تلاميذه الشيخ أبي عبد الله بن الحاج

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 221 .

[2]- الزركشي : المصدر السابق ، ص : 105 ، محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 234 . ابن القنفذ: المصدر السابق ، ص : 378 . الحفناوي : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 123.

[3]- ابن القاضي : المصدر السابق، ج: 1 ، ص ص : 275 – 276 ، ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص: 66-67 . الحفناوي : المصدر السابق ، ص : 123 . التنبكتي : المصدر السابق ، ص ص : 264-270 .

صاحب المدخل وعاد إلى بلاده حيث تصدر للتدريس و الفتوى و توفي بتلمسان[1].

- **سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني** : ولد عام 720 هـ / 1320م اشتهر بالفقه و الأصلين ، تولى قضاء الجماعة ببجاية أيام استيلاء أبي عنان المريني عليها ، سمع من إبني الإمام و تفقه بهما و أخذ الأصول عن الأبلي و غيره ، ألف شرح الحوفي و شرح جمل الخونجي ، و تلخيص إبن البناء ، و قصيده ابن ياسمين في الجبر و المقاعدة و العقيدة البرهانية .و من تلاميذه الإمام إبراهيم المصمودي و أبي يحيى الشريف و الإمام الحجة ابن مرزوق و ولده الإمام العلامة قاسم العقباني توفي عام 811 هـ 1408 م[2].

- **أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري** : اشتهر بالفقه و التصوف و سافر من فاس للحج فدخل مصر فلقي بها الحافظ العراقي و غيره ، و أخذ عنهم و من تلاميذه الإمام إبراهيم التازي ... كما أخذ الشيخ محمد بن عمر الهواري بفاس عن موسى العبدوسي و القباب ، و ببجاية أخذ عن شيخه أحمد بن إدريس و عبد الرحمن الواغليسي . و كان الشيخ يثني على أهل بجاية لمحبتهم الفقراء و الغرباء و ماحفظتهم في معاملتهم على الحلال و من تآليفه " السهو و التنبيه " . استقر بوهران حيث اشتغل بالتدريس حتى توفي سنة 843 هـ[3].

- **محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإمام التلمساني** : من مشاهير علماء تلمسان ارتحل في سنة 810هـ /1407 م إلى الحج فأقام بتونس

---

[1]- ابن مريم: المصدر السابق ، ص ص : 66-67 .

[2]- نفسه : ص ص: 106-107.

[3]- نفسه ، ص : 228 . الحفناوي : المصدر السابق ، ص ص : 201-202-203 .

شهرا ثم جاب بلاد المشرق حتى سنة 812 هـ / 1409 م ثم عاد إلى بلاده[1].

- **الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد الراشدي** : الشهير بأبركان اشتهر بالفقه رحل للحج و مكث بالمشرق مدة طويلة و أخد عن الكثير من شيوخ بجاية و قسنطينة مثل إبراهيم المصمودي كما أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و عنه اخذ أبو عبد الله التنسي و الشيخ علي التالوتي و حضر دروسه الشيخ القلصادي و أثنى عليه في رحلته [2].

- **أبو زكرياء يحي بن يذير بن عتيق التدلسي** : من مشاهير المغرب ، تولى القضاء بتوات جنوب تلمسان ثم استقر بقسنطينة و اخذ عن الإمام ابن زاغو و غيره ، و اخذ عنه الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي حتى توفي بها سنة 877 هـ [3].

- **ابو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني** : يعرف بابن الرصاع استقر بتونس و تولى قضاء الأنكحة ثم الجماعة ، ثم اقتصر على إمامة جامع الزيتونة و خطابته متصديا للإفتاء و تدريس الفقه و أصول الدين و اللغة العربية و المنطق[4] .

- **محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق** : يعرف بابن مرزوق الكفيف نشأ بتلمسان و أخذ عن علمائها الأجلاء و على رأسهم والده بن مرزوق الحفيد و أبو الفضل قاسم العقباني و عبد الرحمن الثعالبي و علماء الحواضر الأخرى من بلاد المغرب

---

[1]- ابن مريم :المصدر السابق ، ص ص : 220 – 221 .

[2]- نفسه ، ص : 74 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص 262 .

[3]- الحفناوي : المصدر السابق ، ج: 1 ، ص ص: 194 – 195 .

[4]- السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، سنة 1355هـ/1936م ، ج :8 ،ص ص: 287-288.

بفاس و بجاية و تونس من أمثال محمد المشدالي و محمد بن محمد بن إبراهيم بن عقاب و عبد الله بن سليمان بن قاسم البجيري التونسي [1] .

و من تلاميذه أحمد بن محمد بن مرزوق و محمد بن أحمد بن مرزوق [2] و محمد بن العباس [3] و أحمد بن يحي الونشريسي [4].

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى : اشتهر بالفقه و الحديث و التوثيق و النحو و العروض ، ارتحل إلى بجاية و أخذ عن الكثير من شيوخها ثم عاد إلى بلده تلمسان[5].

2 – العلماء و طلاب العلم الوافدون على الدولة الزيانية من الدولة الحفصية:

أبو موسى عمران المشدالي البجائي : اشتهر بالحديث و الفقه و النحو و المنطق و الفرائض ، ارتحل الى تلمسان حوالي 728 هـ/1326م فأسند إليه الزيانيون التدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان ، فأخذ الكثير من طلبتها عنه [6].

---

[1]- التنبكتي : المصدر السابق ، ص : 574 .

[2]- نفسه ، ص : 584.

[3]- ابن مريم : المصدر السابق ، ص: 259 .

[4]- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ج : 2 ، ص : 45.

[5]- ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص . 129 – 130

[6]- التنسي : المصدر السابق ، ص ص 139-142. المقري : المصدر السابق : ج 7 ، ص ص : 148 – 198 .

محمد بن يحي الباهلي البجائي : فقيه مشهور، تولى قضاء الجماعة ببجاية و دخل مدينة فاس و لقي بها أبى الحسن الصغير المعروف عند أهل إفريقية بالمغرب صاحب التقييد على المدونة ، أخذ عن أبي ناصر الدين المشدالي و له قصيدة سماها " نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل و الأواخر و مطلعها :

تَبَدَتْ فَغَابَتْ وَ اخْتَفَتْ فَتَجَلَّتْ ∴ فَشَاهَدْتُهَا حَالِي حُضُورِي وَ غَيْبَتِي .

و له شرح على أسماء الله الحسنى و له كلام عجيب في التصوف و تقييد في أنواع فنون العلم و كان فصيحا و كثير التواضع و حسن الملاقاة توفي سنة 743هـ/1342م[1].

حسن بن خلف الله ين حسن بن قاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني: اشتهر بالفقه ، انتقل إلى تونس و أخذ عن ابن غريون و غيره ، ابن عبد السلام . رحل إلى الحجاز و التقى بعدة أعلام و أخذ عنهم و أجازوه كأثير الدين أبي حيان و ابن جابر العيسي الواري آشي ، و من المغاربة التقى بالقاضي الخطيب ابن عبد الرزاق الجازولي و الخطيب البليغ محمد بن أحمد ابن مرزوق و القاضي الأعدل أبو البركات بن الحاج البلقيني[2].

[1]- ابن مريم : المصدر السابق ، ص :227. الحفناوي: المصدر السابق ، ج : 2 ،ص ص :426-427-428.

[2]- التنبكتي : المصدر السابق ، ص . 150

أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي : من مشاهير فقهاء بجاية ، استقر لمدة طويلة بتلمسان للتدريس بها ، أخد عن والده أبي علي ناصر الدين المشدالي و أبي عبد الله الزواوي و عبد المهيمن الخضرمي و أبي عبد الله المسفر و القاضي الشريف السبتي [1] .

عبد الله بن سليمان بن قاسم المحمودي التونسي : اشتهر بالفقه و الحديث رحل الى تلمسان للاستزادة من العلم بها من مشاهير شيوخها و أجاز للعديد من طلاب العلم بها ثم عاد إلى تونس ، فتولى قضاء الانكحة بها [2].

أبو العباس احمد المسيلي: من أكابر فقهاء المسيلة استقر بتلمسان ، حيث عكف على التدريس و أدى فريضة الحج و حدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب ، وروى عن ابن أبي محمد بن أبي السعادات المرواروي الخرساني و أنشده بثغر الإسكندرية قائلا :

الشَّمْ مِنَ أَلْسِنِ الأَفَاعِي ∴ أَعَذَّبُ مِنْ قُبْلَةِ الوَدَاعِ

وَدَّعْتُهُمْ وَ الدُّمُوعُ تَجْرِي ∴ لَمَّا دَعَا لِلْوَدَاعِ دَاعِ [3].

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 01 ،ص: 234. ابن مريم : المصدر السابق ، ص 295

[2]- التنبكتي : المصدر السابق ، ص :152 .

[3]- ابن مريم . المصدر السابق ، ص . 31 . الحفناوي : المصدر السابق، ج : 2 ، ص : 313 .

● **أحمد بن عمران البجائي** : عاش في القرن الثامن الهجري ، من مشاهير فقهاء بجاية كان كثير الرحلة إلى تلمسان من أجل التجارة و مجالس العلم [1] .

● **أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي** : اشتهر بالفقه و الحديث أخذ عن الكثير من شيوخ تونس و القيروان و قسنطينة و تلمسان و تولى القضاء ببجاية و جربة و القيروان [2] .

● **صالح بن محمد بن موسى بن محمد بن محيي الدين الحسني الزواوي** : ولد سنة 760 هـ / 1358 م – 839هـ / 1437 م [3].

● **أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني** : الشهير بالبرزلي ، ولد سنة 740 هـ / 1339 م من مشاهير تونس و مفتييها ، أخذ عن العديد من شيوخ تلمسان كما رحل إلى المشرق حاجا فتلقى العلم عن كثير من الشيوخ بالقاهرة [4].

● **محمد بن أحمد بن أبي القاسم المشدالي** : من مشاهير الفقهاء ، ارتحل إلى تلمسان في سنة 840 هـ / 1436 م ، فلقي العديد من شيوخها ثم ارتحل إلى المشرق ثم استقر في بجاية و توفي سنة 865 هـ / 1460 م [5].

---

[1]– التنسي : المصدر السابق ، ص : 142 .

[2]– ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 149 .

[3]– نفسه ، ص : 116 .

[4]– نفسه ، ص ص : 150-152 .

[5]– ابن القاضي : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 293 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 163.

● **بلقاسم بن محمد الزواوي** : من مشاهير فقهاء بجاية ارتحل في بداية حياته لتلقي العلم بتلمسان و اشتغل في التدريس و هو من أكابر أصحاب الإمام السنوسي . أخذ عنه محمد بن عمر الملالي و توفي في صفر عام 922 هـ [1].

● **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** : فقيه و صوفي ، ارتحل إلى تلمسان في شبابه للأخذ عن شيوخها ثم انتقل إلى المشرق و استقر عدة سنين بالمدينة المنورة ثم عاد إلى قسنطينة فاستقر بها [2].

ج – **الرحلة في طلب العلم** : يعتبر ابن خلدون الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم [3]، و يضيف قائلا : " و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم و ما يتحلون به من المذاهب و الفضائل، تارة علما و تعليما و إلقاء و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة " [4].

إن الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة مفيدة لأن البشر يأخذون الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة [5] ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين أشد استحكاما و أقوى رسوخا و كلما تعدد الشيوخ كلما تنوع لدى طالب العلم المصطلحات و الطرق ، إذ أ ن لكل شيخ طريقته في التعليم [6] .

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال [7].

---

[1]– ابن مريم : المصدر السابق ، ص : 71 .

[2]– نفسه، ص : 116 .

[3]– ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص 705 .

[4]– نفسه ، ص : 705 .

[5]– الأخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص: 196 .

[6]– ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 705 .

[7]– نفسه ، ج : 2 ، ص : 705 .

و انطلاقا من فوائد الرحلة فإن الطلاب لم تكن تقف أمامهم حدود لطلب العلم و تبليغه بل كانت الرحلة في طلبه من أقوى الدوافع في تدليل المصاعب و المشاق [1]، و كان الطلاب من خلال رحلاتهم المتعددة يسعون إلى تحقيق مجموعة من الأهداف مثل : الاستزادة من العلم و لقاء من اشتهر من الشيوخ فتترسخ المعارف أكثر في ذهن الطالب و ينضج فكره [2]، و كلما زاد عدد الشيوخ الذين يلتقي بهم عظمت فائدة الرحلة.

إن المعارف التي كان يكسبها طالب العلم من أفكار و مصطلحات من بعض الشيوخ ، كانت تتميز أحيانا بالغموض و التعميم حتى أن الطالب كان يظن أنها من طبيعة المادة التعليمية ، و الوسيلة الوحيدة التي تزيل ذلك اللبس هي لقاء العديد من الشيوخ [3].

ومادام لكل شيخ أسلوبه و طريقته الخاصة التي يتميز بها عن غيره فإن ذلك ينعكس إيجابا على الطالب إذ يتمكن في النهاية من التمييز بين العلم و مصطلحاته و حتى طرق توصيله[4]، و يدرك أن المصطلحات المحصل عليها ما هي إلا وسيلة و طريقة لتحصيل العلم ، و عند ذلك الحد يكون تكوين الطالب العلمي سليما من خلال كثرة لقاء الشيوخ في بلدان متعددة و لهذا فالرحلة في طلب العلم و لقاء الشيوخ مطلب ضروري لاستكمال الطالب تعليمه و الارتقاء إلى مصاف شيوخ العلم [5]. و من أهم العوامل التي تساعد على إنجاح الرحلة نشير إلى ما يلي :

1- الحرية في التنقل بين البلدين : الدولة الزيانية و الدولة الحفصية .

2- حسن الاستقبال و توفير أماكن الإقامة لهم و التكفل بهم عند حاجاتهم إلى ذلك.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج: 2 ، ص : 19 .

[2]- نفسه ، ج : 2 ، ص : 509 .

[3]- عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 466 .

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 2 : ص : 509 .

[5]- نفسه : ج : 2 ، ص : 509 .

3- الرغبة في تحصيل العلم و التفرغ له .

4- بساطة لوائح الالتحاق بالمؤسسات التعليمية و عدم تمييزها بين أبناء البلدين .

5- ترحيب الشيوخ بكل طالب العلم .

6- حرية الطلبة في اختيار الشيوخ ، و حرية الانتقال من شيخ إلى آخر لاستكمال التعليم [1].

لقد نسجت الرحلة شبكة واسعة من العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية و الدولة الحفصية ، و يبرز ذلك في العلاقات المميزة بين الطلبة و الشيوخ أو بين الشيوخ فيما بينهم و كانت هذه العلاقة إما مباشرة أو بالمراسلة فيتبادلون الكتب و الرسائل و الإجازات [2] ، فالعلاقة هذه كانت تضم في ثناياها الفئة المتعلمة في كلا البلدين [3] .

ساهمت فريضة الحج في تمتن الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و المغرب الأدنى ، فكان يتشكل سنويا ركب من الحجيج ينطلق من الدولة الزيانية فيمر بالدولة الحفصية فينضم حجاجها إلى الركب باتجاه الأماكن المقدسة بالحجاز [4]. و كان الركب يضم الكثير من العلماء و الطلبة من كلا البلدين .

كان لرحلة أداء فريضة الحج دور ثقافي كبير ، إذ كان الحجاج يفيدون و يستفيدون من الصلات الثقافية التي تتمخض عن رحلتهم مثل لقاء مشاهير العلماء من البلدين [5].

و كان من طلبة العلم من يستقر سنوات عديدة خاصة طلبة الدولة الزيانية بعد عودتهم من الحج و منهم من يكتفي فقط بالإجازة[6] دون إطالة الإقامة ، و قليلا ما كان

---

[1]- التنسي : المصدر السابق ، ص ص : 139 – 142 . التنبكتي : المصدر السابق ، ص : 215 . المنوني محمد : منهجية التعليم في الإسلام، مجلة دعوة الحق ، العدد الأول يناير 1979 .

[2]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 235 .

[3]- عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 467 .

[4]- ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص ص : 375 – 383 . عز الدين عمر أحمد موسى : المرجع السابق ، ص : 41.

[5]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 60 .

[6]- الإجازة : عبارة عن شهادة يقر بها الأستاذ بتمكن المجاز من كتاب معين أو معارق معينة و بإمكانية نقلها بأمانة ، و كانت تنقسم إلى نوعين إجازات السماع و إجازات المكاتبة .انظر : الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 21 .

الطلاب و العلماء يمرون بالمدن دون الاتصال بمشاهير العلماء الذين يستقرون فيها ، فيتعرفون على الحركة العلمية فيها ، فيبلغونها إلى أسرهم و أهل بلادهم ، و كان العديد منهم يسجلون رحلاتهم ، فظهر ما يسمى بأدب الرحلات ، فحفلت المكتبات في البلدين بالعديد من كتب الرحلات [1] ، فمنها التي ركزت على الجوانب الجغرافية و منها التي ركزت على الجوانب الثقافية . و كانت تونس و بجاية و قسنطينة و طربلس أهم المحطات الرئيسية لكل متجه من الدولة الزيانية إلى البلاد الحفصية ، و كانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية المحطة الرئيسية للوافدين من البلاد الحفصية نحو الدولة الزيانية فمنهم من كان يستقر بها و منهم من كان يواصل مسيرته نحو الدولة المرينية أو الأندلس[2].

و مهما وفرت المصادر من معلومات حول الوافدين على المغرب الأوسط من المغرب الأدنى أو العكس لا يمكن إحصاء عددهم بدقة و لو لسنة واحدة و لذلك تطلب الأمر أن نكتفي بالتسليم أن عددهم كان كبيرا و هذا من خلال ما رصدته كتب الطبقات و باقي المصادر [3] .

د – **الهجرة الأندلسية و دورها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين** : شهدت الدولة الزيانية و الحفصية توافد العديد من الأسر الأندلسية خاصة في فترة الأزمات السياسية للأندلس[4]، و تشير بعض الدراسات أن الوجود الأندلسي في الدولتين يعود إلى زمن مبكر و لعل ذلك مرده أن الدولة الأموية كانت تبحث لها عن قاعدة أندلسية أمامية في بلاد المغرب ، تقف بها في وجه المد الفاطمي و لهذا لجأت إلى الشواطئ المغربيةو

---

[1]-ابن عبد الملك المراكشي : الذيل و التكملة لكتابي الموصل و الصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية ،الرباط ، 1984 ، ج : 2 ، ص ص : 679-690 .

[2]- نفسه ، ج : 2 ، ص : 680 .

[3]- عز الدين عمر أحمد موسى : المرجع السابق ، ص ص : 41 – 42 . عاشور بو شامة : المرجع السابق ، ص : 470.

[4]- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، نشره البارون دي سلان ، الجزائر عام 1911 ، ص : 61 . ابن الحوقل: صورة الأرض ، ليدن 1939، ص : 133 .

أسست فيها قواعد لها لضرب مخططات الفاطميين و الحد من توسعهم و انتشار مذهبهم [1] . فماذا قدم الأندلسيون للثقافة الزيانية و الحفصية ؟ و كيف ساهموا في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين ؟ .

معظم الأندلسيين الذين كانوا يتوجهون نحو الدولة الزيانية و الحفصية كان اتجاههم يخرج عن مفهوم الرحلة بمدلولها الاجتماعي [2] . لأنهم كانوا يخرجون دون نية العودة إلى الأندلس فعرفت في التاريخ " بالهجرة الأندلسية " و أطلق عليها البعض مصطلح: " الجلاء " على أساس اختلاف الدوافع الاجتماعية بالنسبة للرحلة عنه في الهجرة أو الجلاء و تنقل الأندلسيين الجماعي [3] هذا ساعدهم على تكوين " جاليات متماسكة " سواء في الدولة الزيانية أو الدولة الحفصية ، و كانت هذه الجاليات تضم أعدادا كبيرة من العلماء و عمال الزراعة و الحرفيين و المعماريين[4] و من أهم الأسباب التي كانت وراء هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط و الأدنى ما يلي :

- التدهور السياسي الشديد الذي ساد الأندلس منذ ضعف السلطة الموحدية بها مع مطلع القرن السابع الهجري .
- التحرشات المسيحية بمسلمي الأندلس و تدرج استيلائهم على مدن الأندلس و تفشي الروح الانهزامية بينهم .
- تفشي الاضطرابات الاجنماعية و الاقتصادية بالأندلس .

---

[1]- عبد العزيز فيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و بلاد المغرب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص ص : 96-109 .

[2] -Brunshvig (R) : La Berberie orientale sous les Hafsides , des origines à la fin de 15eme siècle , tome 2 , librerie d'amerique et d'orient adrien Maisonneuve , paris 1947 , PP : 156 – 157 .

[3]- درارجة أبو القاسم : العلاقات الثقافية ... المقال السابق ، ص : 168 .

[4]- الغبريني : المصدر السابق ، ص ص : 257 – 261. Brunshvig :o p c i t , PP : 156-157

– ضيق الحيز الجغرافي المتبقي للمسلمين قياسا مع عددهم فاضطر الفائض منهم إلى مغادرة البلاد [1].

– بدأ الكثير من علماء الأندلس ينتقلون إلى المغرب الأوسط ، منهم المار إلى بلاد المشرق و منهم الزائر و منهم الراغب في الاستقرار نظرا للظروف و الملابسات و التناحر الذي كان سائدا في الأندلس نتيجة التنافس على الزعامة بروح قبلية ضيقة نظرا لكل هذا اختارت جماعة من أكبر مثقفي الأندلس سواء خرجت بإرادتها أو أجبرت على الخروج إجبارا أن تشد الرحال إلى المغرب الأوسط [2].

– و من أهم الوجوه الثقافية التي حلت بتلمسان الأديب أبو بكر بن الخطاب في أواسط القرن السابع الهجري ، و كان يشتغل رئيس ديوان الرسائل السلطانية و لما دخل تلمسان جعله ملكها : يغمراسن بن زيان صاحب القلم الأعلى [3] و بقي في تلمسان إلى أن توفي بها [4] ، و كان العاهل التلمساني يعتمد عليه في كتابة الرسائل إلى ملوك الدول الإسلامية خاصة الملك الحفصي كما ورد في هذا الفصل.

و من الوافدين على تلمسان أيام أبي يحي يغمراسن : "أسرة بني وضاح" من الشرق الأندلس التي تمتعت بمنزلة خاصة عند هذا الملك [5] فدعم بهم أركان دولته لتسيير دواليبها [6].

و من الأسر التي حلت بتلمسان و التي اشتهرت بالعلم و الأدب و الفقه أسرة

---

[1] عز الدين عمر أحمد موسى : المرجع السابق ، ص : 2 . دراجة أبو القاسم : العلاقات الثقافية ... المقال السابق ، ص : 171 . عاشور بوشامة : المرجع السابق ، ص : 471 .

[2] دراجة أبو قاسم : العلاقات الثقافية ... المقال السابق ، ص 169 .

[3] التنسي : المصدر السابق ، ص : 13 . محمد بن عمار : المرجع السابق ، ص : 210

[4] فقد توفي رحمه الله بتلمسان يوم عاشوراء سنة 686 هـ على قول " يحي بن خلدون " و " ابن مرزوق " و بعد الثمانية و الستمائة على قول " لسان الدين بن الخطيب " الذي هو أرجح لأن ابن الخطيب كان حيا في هذه السنة . أنظر : محمد بن عمار : المرجع السابق ، ص : 210 .

[5] ابن خلدون: المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 156 157 . عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ص : 249 – 250 .

[6] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج : 1 ، ص : 178 .

" بني ملاح" من قرطبة و تقلد أفراد أسرتها وظيفة سك النقود و خطة الأشغال و زادوا إليها مهنة الفلاحة و الحجابة [1] و اشتغل أحد أفرادها و هو عبد الرحمن بن محمد بن الملاح منصب صاحب الأشغال و ديوان الخراج و الجيش في عهد أبي يحيى يغمراسن بن زيان [2] ، كما تولى محمد بن ميمون بن ملاح الوزارة و الحجابة في عهد السلطان الزياني أبي حموا موسى الأول و تولى المنصب من بعده ابنه الأشقر و عين إبنه إبراهيم بن محمد علي على نفس الخطة بعدهما و أشرك معه في الوظيفة قريبه علي بن عبد الله بن ملاح [3] و رغم العدد الكبير من الأسر الأندلسية التي حلت بالعاصمة الزيانية تلمسان و ضواحيها إلا أن نصيب البلاد الحفصية من المهاجرين كان أعظم و يعود ذلك في نظرنا إلى الأسباب التالية :

– العلاقة المتينة التي أسس لها والد أبي زكرياء يحيى الأول الحفصي عندما كان واليا على إشبيلية في غرب الأندلس قبل انتقالهما إلى إفريقية و حينما نشأت الدولة الحفصية أحاط أبو زكرياء الحفصي نفسه بالأندلسيين و أكرم وفادتهم استمر ابنه و خليفته المستنصر على تلك السيرة بل و كل خلفائه [4] .

– الاستقرار الذي كانت تتمتع به الدولة في فترة الوقوع أهم المدن الأندلسية في قبضة المسيحيين مقارنة بالدولة الزيانية حيث كان الصراع محتدما بين المرينين و الزيانيين [5] .

---

[1]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 117-118 .

[2]– يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 205 .

[3]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج : 1 ، ص ص : 178-179 .

[4]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 571، 595 ، 611 ، 616 . محمد مرزوق: الجالية الأندلسية بالمغرب العربي (تونس و الجزائر) المجلة التاريخية المغربية ، العدد: 13 نوفمبر 1986 ، ص : 10 .

[5]– ابن خلدون : المصدر السابق ، ج : 7 ، ص ص : 523- 551 . محمد الطالبي : الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة أصالة السنة الرابعة ، العدد 26 جويلية / أوت 1975، ص ص : 65 – 105 .

- موقف الاستياء الذي اتخذه الأندلسيون من الموحدين و تحميلهم إياهم مسؤولية ضياع بلادهم ، فاتجهوا قاصدين الدولة الحفصية [1].

بدأت الهجرة الأندلسية الكبرى إلى إفريقية في البداية من شرق الأندلس بعد وقوع بلنسية في يد المسيحيين سنة 636 هـ/ 1238 ، ثم مرسية سنة 640هـ/ 1242 م و شاطبة سنة 644 هـ /1246 م و قبل هذه المدن كان سقوط جزيرة ميورقة سنة 627 هـ 1230 م[2] و لم يستول المسيحيون على هذه المدن فقط بل عمدوا على إجلاء السكان عنها حيث يقول ابن الأبار : " و في وقتنا هذا وصل بعض الشاطبيين إلى (البلاد الحفصية) يخبر أنه (ملك أرجونة) أجلاهم عنها مع أهل جهاتهم وهم ألوف من المسلمين فتفرقوا في البلاد ...وذلك في رمضان سنة654 هـ[3]

و لم تقتصر الهجرة على سكان شرق الأندلس بل شملت أيضا سكان الغرب خاصة بعد سقوط حاضرتهم إشبيلية سنة 646هـ/1248م وسلك القشتاليون فى غرب الأندلس نفس سلوك الأرجوانيين في شرقه[4]. و مما يلاحظ أن المهاجرين الأندلسيين سواء من الشرق أو من الغرب كانوا يمرون بالبلاد النصرية (غرناطة) فكانوا يستقرون بها قليلا[5].

لقد ساهم المثقفون الأندلسيون مهجرون كانوا أو مهاجرين في تنشيط الحياة الثقافية في كبريات حواضر البلاد الحفصية مثل: تونس و بجاية [6] ومن أهم العلماء الذين ساهموا في التنشيط و تفعيل الحقل الثقافي في الدولة نشير إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري ويعرف بابن محرز البلنسي وهو فقيه ولغوى ومؤرخ . استقر ببجاية

---

[1]- انظر: محمد رزوق : الجالية الأندلسية ... المقال السابق ، ص ص : 111-112 .

[2]- الحميرى : المصدر السابق ، ص: 538 محمد رزوق : الجالية الأندلسية ... المقال السابق ، ص: 112.

[3]- عاشور بوشامة نقلا عن ابن الأبار : الرجع السابق : ص ص . 473.

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق . ص ص :683 -684 .محمد رزوق : الجالية الأندلسية ... المقال السابق، ص ص 112-113 .

[5]- ابن الخطيب : المصدر السابق .ج . 2. ص . 92

[6]- محمد الطمار: المرجع السابق .ص ص 178-179 .

وكان يجتمع بمنزله أعلام كبار من أمثال : ابن الأبار وابن عميرة[1]، هذا إضافة إلى أبي بكر محمد بن عبد الله الذي يعرف بابن سيد الناس الاشبيلي وهو فقيه وأديب توفي في سنة 657هـ أو 659 هـ[2] . تميز هذا العالم الأندلسي بصفاته الحسنة وأخلاقه النبيلة وقال عنه الغبريني :"إنه قدوة الفقهاء وعمدة العلماء "[3]و هذه الصفات أهلته لكي يتولى قضاء عدة مدن حفصية مثل :قضاء قابس و يكون من الرجال المقربين للأمير عبد الله المنتصر[4] .ومن المثقفين الذين ساهموا في إثراء الثقافة الحفصية ، ابن الأبار البلنسي الذي قام بترجمة طائفة من علماء الأندلس[5] مثل أبي محمد عبد الحق بن برطلة الأزدي من أهل مرسية له الكثير من التآليف في معقول العلوم ومنقولها[6] وأبو حسن حازم بن محمد الغرناطي ، الفقيه الشاعر قدم إلى تونس ومدح أميرها المستنصر بالله من تآليفه: "سراج البلغاء في البلاغة" [7].

ساهم بعض المثقفين الأندلسيين في التدريس و التعليم من أمثال أبي جعفر أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري اللـــبـــي ، قدم إلى تونس و اشتغل في التعليم و من تآليفه : "رفع التلبيس على دقيقة التجنيس "[8] ، و أبو محمد عبد الله بن هارون الطائي القرطبي الذي تتلمذ على يده العديد من علماء تونس من أمثال : ابن زيتون و ابن عبد

---

[1]– محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج:1، ص . 194

[2]- نفسه ، ص : 194

[3]–الغبريني : المصدر السابق ، ص : 250 . محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ج: 1، ص :195.

[4]– محمد بن محمد مخلوف : المصدر الساتبق ، ج: 1، ص :195.

[5]– نفسه : ص ص : 195-196.

[6]– – تشير المصادر أن ابن برطلة الأزدي هو الذي حمل بيعة أهل مكة لأمير تونس أبي عبد الله المنتصر الحفصي و قرأها القاضي ابن البراء في جامع الزيتونة سنة 657 هـ ومما جاء فيها :

أهـــنـاء أمير المؤمنين ببيعة -وأفتك بالإقبال و الإسعاد فلقد حياك بملكه رب الورى •• فأتى يبشر بافتتاح بـــــلاد

أنظر : محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 196. الغبريني : المصدر السابق ، ص : 209 .

[7]– محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص :197

[8]– نفسه، ص : 197 .

السلام [1] ، هذا إضافة إلى الفقيه أبي عباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي الذي درس بحاضرة تونس [2] .

و من الأندلسيين من تولى مناصب حساسة في أجهزة الدولة الحفصية مثل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي الذي عين سفيرا في الديار المصرية بعد توليه قضاء بجاية و تونس [3].

هذه عينة عن بعض الوجوه المثقفة من الأندلس التي كان لها دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية و تفعيلها في البلاد الحفصية في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى التاسع الهجري / الثالث عشر إلى الخامس عشر ميلادي .

إن الجاليات الأندلسية التي حلت بمدن الدولة الزيانية مثل: تلمسان و ندرومة و هنين وهران ... و مدن الدولة الحفصية مثل تونس و بجاية و قابس ... و سواء كان انتقالهم عابرا أو دائما ، و إقامتهم في البلدين قصيرة أو طويلة كل ذلك كان له الأثر في تبادل المؤثرات و تلاقح المعائش و العوائد و الأخلاق [4] . و نشطت الساحة الثقافة فزخرت المدارس و المساجد بالعلماء و الأدباء و كثر الفنانون من معماريين و موسيقيين و غيرهم [5]. و انتقلت إلى المدن الزيانية و الحفصية مدرسة قرطبة للحديث و الفقه و مدرسة الشعر و الموشحات [6] ، و حرك الأندلسيون الساحة الثقافية و أثروها بآراءهم و فتاويهم و طرق التدريس و الإجازات العلمية و الفنون الجميلة و كل ما يتعلق بأنماط الحضارة [7]

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص : 199 .

[2]- نفسه ، ص : 199 .

[3]- نفسه ، ص : 197 .

[4]- محمد الطمار : المرجع السابق ، ص : 237 .

[5]- نفسه ، ص : 237 .

[6]- درارجة أبو القاسم :العلاقات الثقافية ... المقال السابق، ص : 177 .

[7]- درارجة أبو القاسم :العلاقات الثقافية ... المقال السابق ، ص : 185 .

و خلقوا أوضاعا ثقافية متشابهة في البلدين مما عزز الصلات الثقافية بين الحواضر الزيانية و الحفصية [1].

[1]- محمد رزوق : الجاليات الأندلسية ... المقال السابق ، ص ص : 114 - 115 .

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا للعلاقات الثقافية بين البلدين و تشريح الواقع الثقافي في الدولتين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي إلى القرن الخامس عشر ميلادي نستنتج ما يلي :

- إن العلاقات السياسية بين الدولة الزيانية و الحفصية كانت تقوم على الصراع و التنافس خاصة بداية من النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي و القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي ، حيث كانت كل دولة تسعى إلى التوسع على حساب أراضي الدولة الأخرى فإذا كان الحفصييون قد شنوا غاراتهم العسكرية على جارتهم الدولة الزيانية طوال القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي، فإن الزيانيين و ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي انتقلوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم و أصبحوا يهددون الحفصيين حتى في عقر دارهم خاصة في عهد كل من أبي حمو الأول و أبي تاشفين الأول و اللذان كان لهما الفضل في إخراج المجتمع الزياني من طور البداوة إلى طور الحضارة . و عموما فإن العلاقات بين البلدين غلب عليها طابع التوتر و العداء .

- لم تتأثر العلاقات الثقافية بين البلدين بذلك الجو السياسي المشحون بالتنافس و الصراع ، كما لم تتأثر تلك العلاقات بالحروب التي كانت تنفجر بين الدولتين من فترة إلى أخرى ، بدليل أن حركة العلماء ظلت مستمرة في هذا الجو ، فتواصلت معها حركة التبادل الفكري و الثقافي مما أنتج تجانسا ثقافيا متأصلا في كبريات الحواضر مثل : تلمسان و تونس

وقسنطينة و بجاية... و توفر المناخ الملائم لاستيعاب التأثيرات الثقافية المتبادلة و هذا كله أدى إلى امتداد ثقافة كل بلد في البلد الآخر .

- و ما يمكن الوقوف عليه كذلك من خلال هذه الدراسة أن القرن السابع هـ و الثامن هـ كانا من أخصب الفترات الزمنية فكرا و ثقافة، ففيه نشطت حركة العلماء بين الدولتين سواء القادمين من الدولة الزيانية إلى الدولة الحفصية أو العكس . كما شهد هذا القرن موجة واسعة من المهاجرين الأندلسيين إما المتجهين نحو الدولة الحفصية أو نحو الدولة الزيانية . و مما لا شك فيه أن الجاليات الأندلسية المهاجرة أو المهجَرة كان لها الفضل في دفع الساحة الثقافية في البلدين و تنويع إنتاجها و إضفاء الطابع الأندلسي خاصة في شقه الأدبي مثل الشعر ، و خلق أوضاع ثقافية متجانسة في البلدين ، إذ لا يختلف اثنان في دور الهجرة الأندلسية في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين و تدعيم ذلك التواصل العلمي و الفكري رغم دمار الحروب و رؤية السياسيين الضيقة (السلاطين و رجال الدولة) .

- إن المتتبع لحركة العلماء و الطلبة بين الدولتين التي رصدتها المصادر التاريخية ما هي في حقيقة الأمر سوى مؤشرا مقتضبا و مظهرا عن واقع المبادلات الثقافية . و رغم ما قدمته المصادر المختلفة من نماذج عن هؤلاء العلماء الذين انتقلوا من المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى العديد منهم لم ترصدهم هذه المصادر و أشير إليهم بصفة عامة و مختصرة في مصادر أخرى . و مادام الكلام عن حركة العلماء و الطلبة و تنقلاتهم ، فلا ننسى في هذا الصدد دور فريضة الحج فهذه الظاهرة ساهمت في جمع شمل العلماء و طلبة العلم في ركب واحد ينطلق من الدولة الزيانية و يمر على الدولة

الحفصية ، فيتبادل العلماء الأفكار و الآراء و يلتقي الطلبة بشيوخهم فيأخذون عنهم : إن هذه الظاهرة كانت بحق عنصر إلقاح ثقافي حقيقي .

- لقد تمتعت المؤسسات العلمية على اختلاف أنواعها في البلدين بقدر معتبر من الحرية و الاستقلالية عن السلطنة و النظام السياسي ، فالعلماء الذين كانوا ينتقلون ، كانوا يستقبلون بحفاوة حتى في المؤسسات التعليمية الرسمية و كانت تفتح لهم الأبواب للتدريس و المساجد لتنظيم مجالسهم الفقهية و هذا كله في ظل تأزم العلاقات السياسية و التطاحن العسكري ، و لم تشر المصادر أن السلطان الفلاني من الدولتين أبعد العالم الفلاني من المؤسسة التعليمية الفلانية لأن العلاقات السياسية مع بلده منقطعة أو متأزمة ، و هذا ما حافظ على استمرارية حركة العلماء و عزز عملية التواصل الثقافي و زاد في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين .

- بعد دراستنا للخارطة التعليمية و التربوية في الدولتين و بعد رصد حركة العلماء و تخصصاتهم التي كان يفضلها الطلبة ، تبين أن العناية بالعلوم النقلية خاصة الشرعية كانت هي الغالبة مقارنة بالعلوم الأخرى و هذا راجع في اعتقادنا إلى المكانة المحترمة التي كان يتمتع بها صاحب هذا التخصص في المجتمعين ، هذا إضافة إلى أن هذا التخصص يفتح لصاحبه آفاق واعدة لتولي مناصب عليا في أجهزة الدولة .

الملاحق

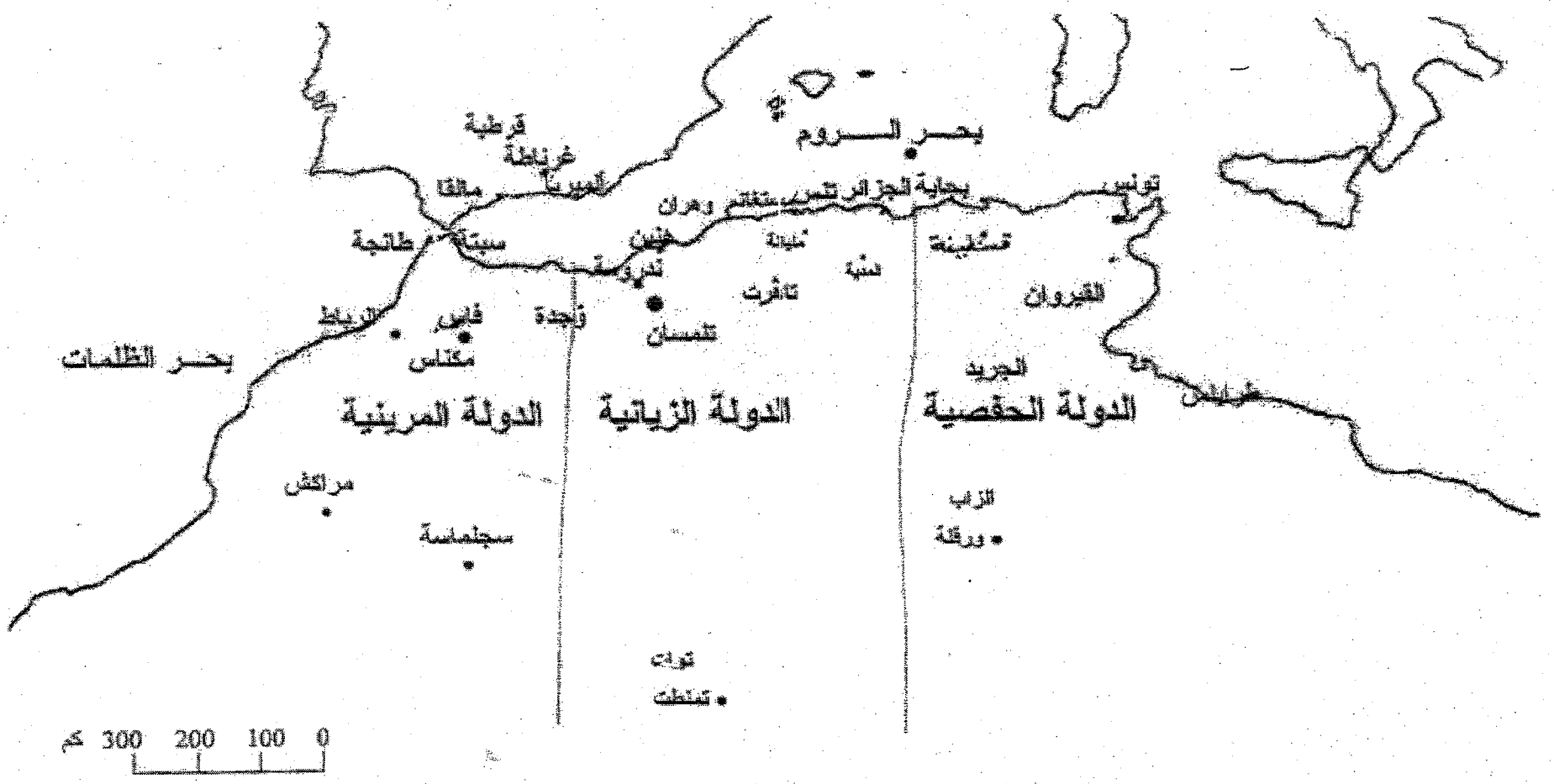

خريطة رقم :1
دول المغرب بعد الموحدين
من القرن 7 هـ/13 م إلى ق 10 هـ/16م

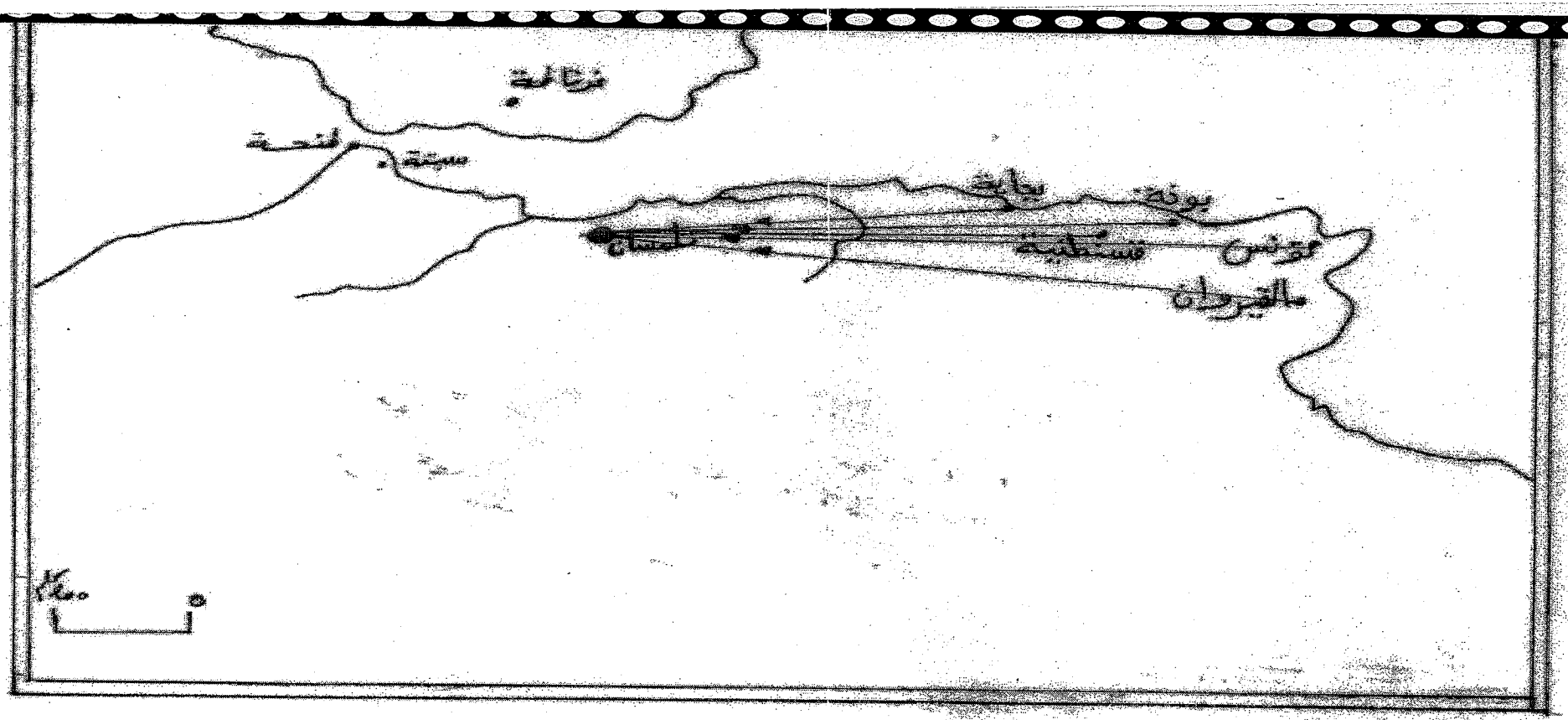

الخريطة رقم 03 : توضح أهم الحواضر الحفصية التي كانت مدينة تلمسان تستقبل منها العلماء و الطلاب .

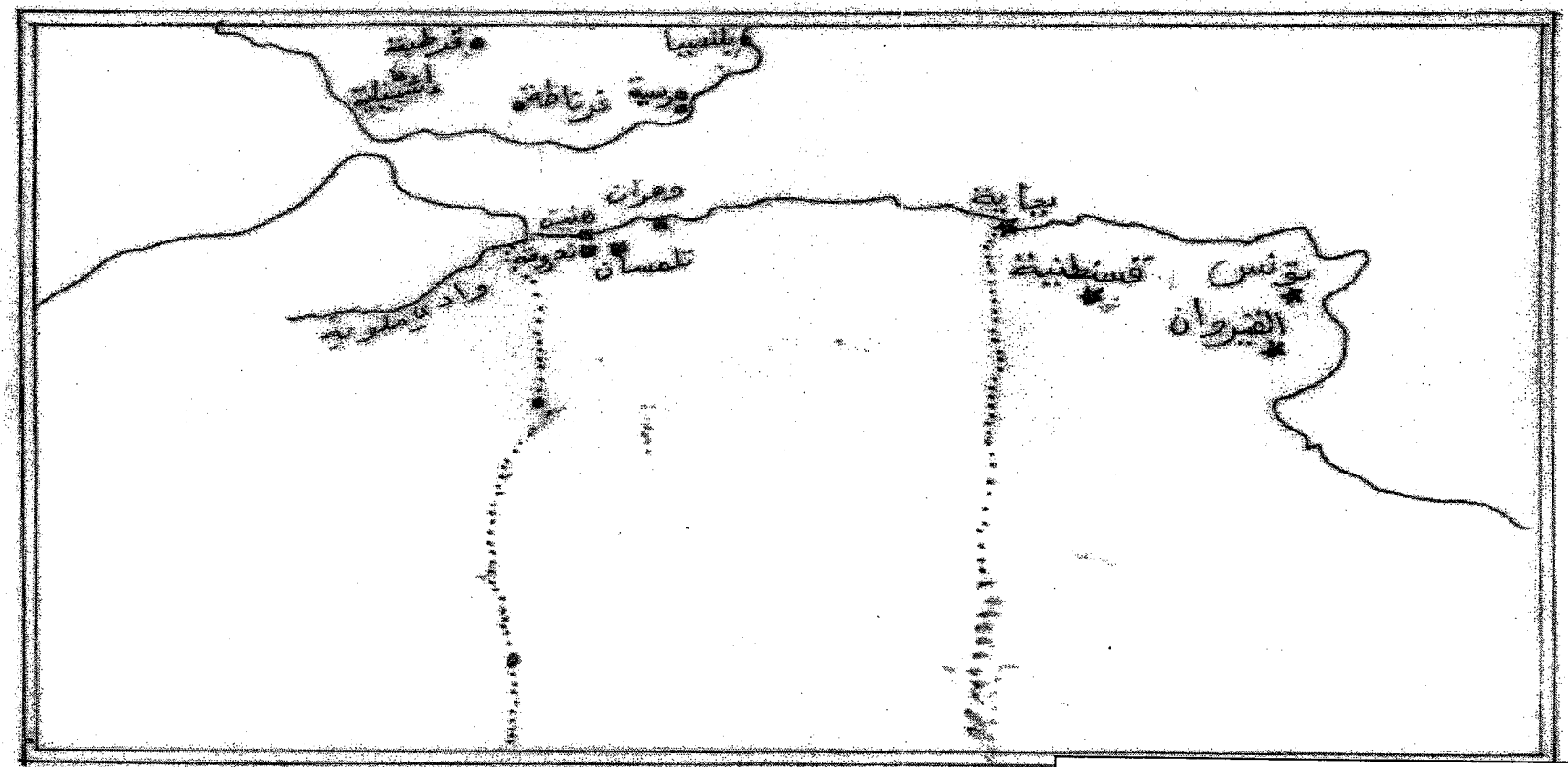

الخريطة رقم **04** : توضح مناطق الهجرة الرئيسية الأندلسية و الحواضر الزيانية و الحفصية المستقبلة .

مفتاح الخريطة :

- – أهم مناطق الهجرة في الأندلس
- ■ أهم حواضر الدولة الزيانية المستقبلة
- * أهم حواضر الدولة الحفصية المستقبلة

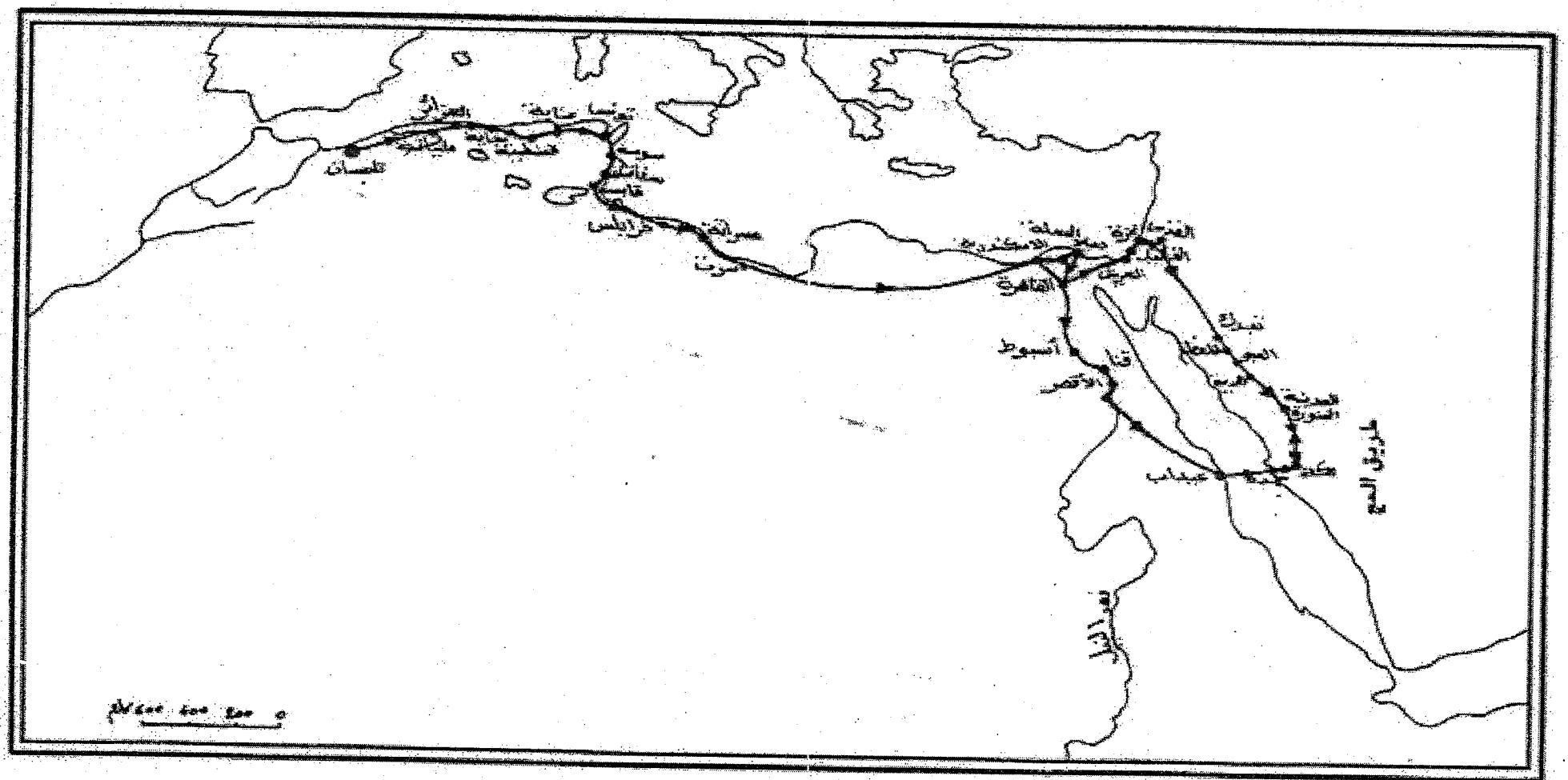

الخريطة رقم 05 : توضح طريق الحج

الصورة الأولى : مسجد العباد بني سنة 739 هـ/ 1339 م و هو أثناء الترميم .

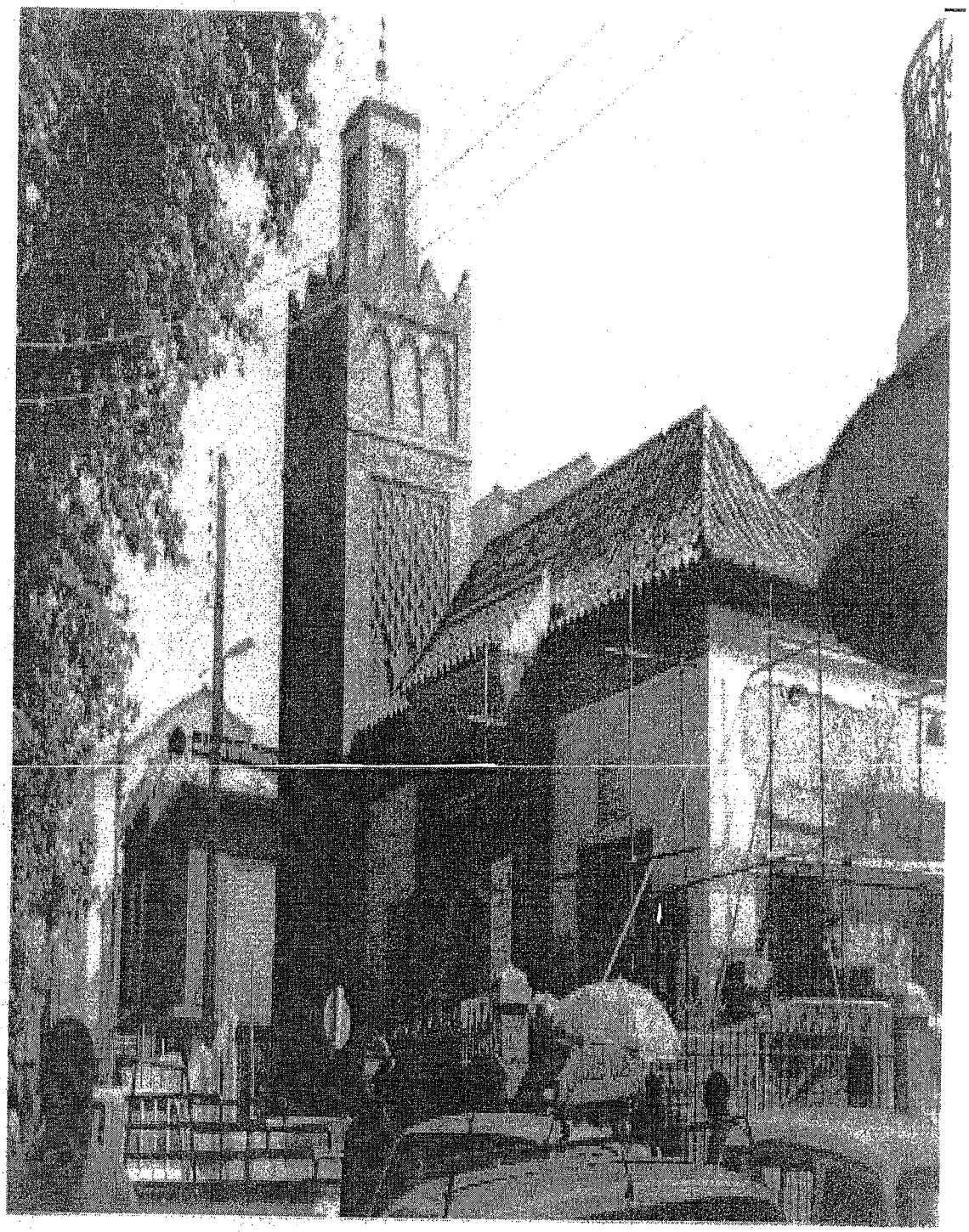

الصورة الثانية : مسجد أبي الحسن التنسي بوسط تلمسان و هو أثناء الترميم .

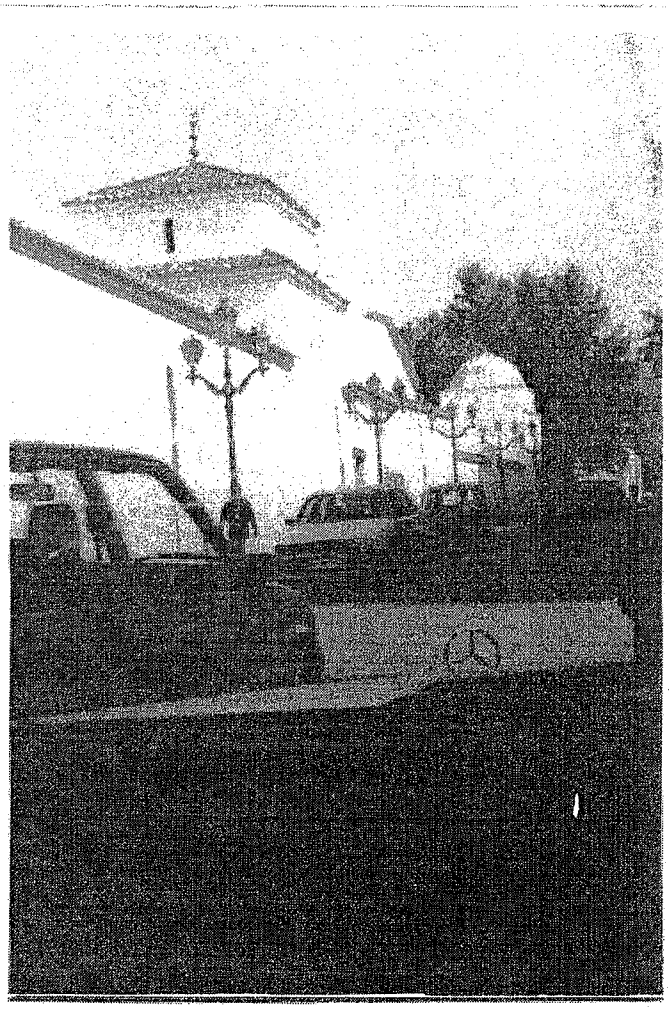

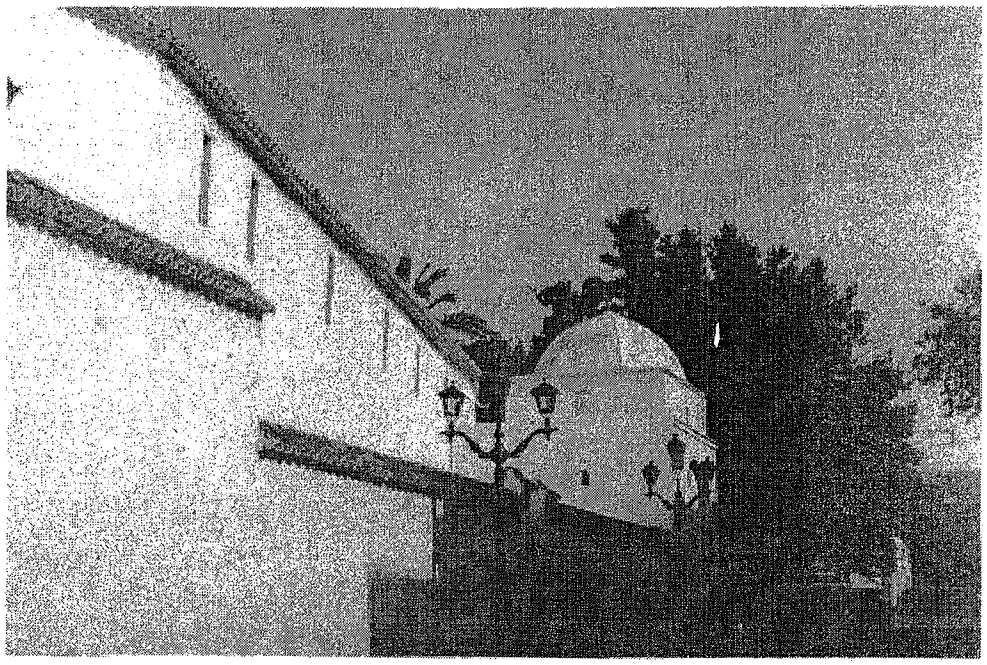

الصورة الثالثة : قبة ضريح أبو عبد الله بن محمد بن مرزوق بالزاوية الجنوبية الغربية من الجامع الأعظم بتلمسان

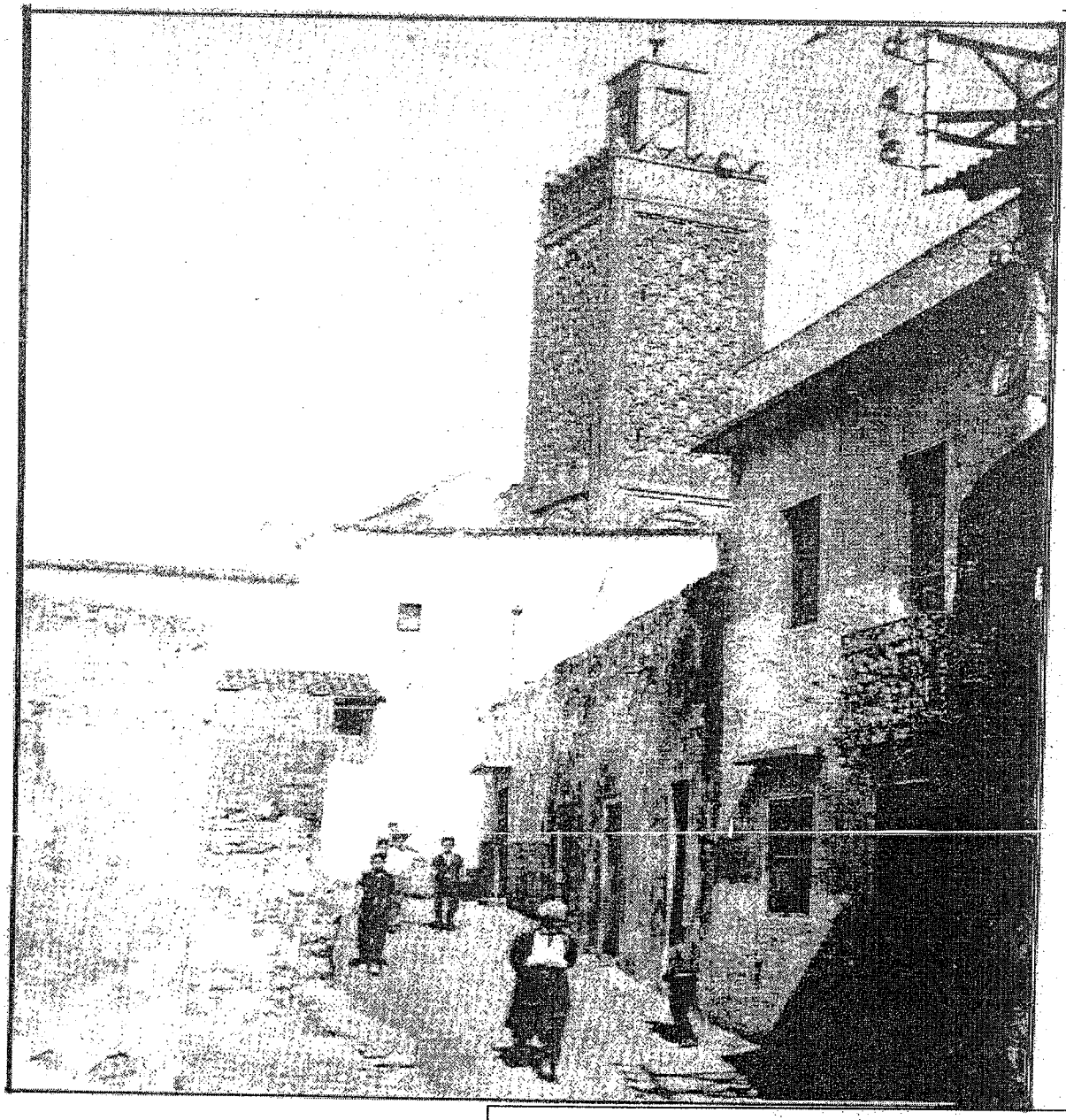

الصورة الرابعة: — حي العبّاد الفوقي: ترى واجهة الجامع ومئذنته، وبابا صغيرا وهو باب يدخل منه إلى الضريح وإلى الجامع ويصعد على يمين هذا الباب الصغير إلى المدرسة ويدخل من يسار هذا الباب إلى دار السلطان

شاوش محمد رمضان :

باقة السوسان في التعريف

بحضارة تلمسان عاصمة

الدولة الزيانية ، ديوان

المطبوعات الجامعية ، ص : 276

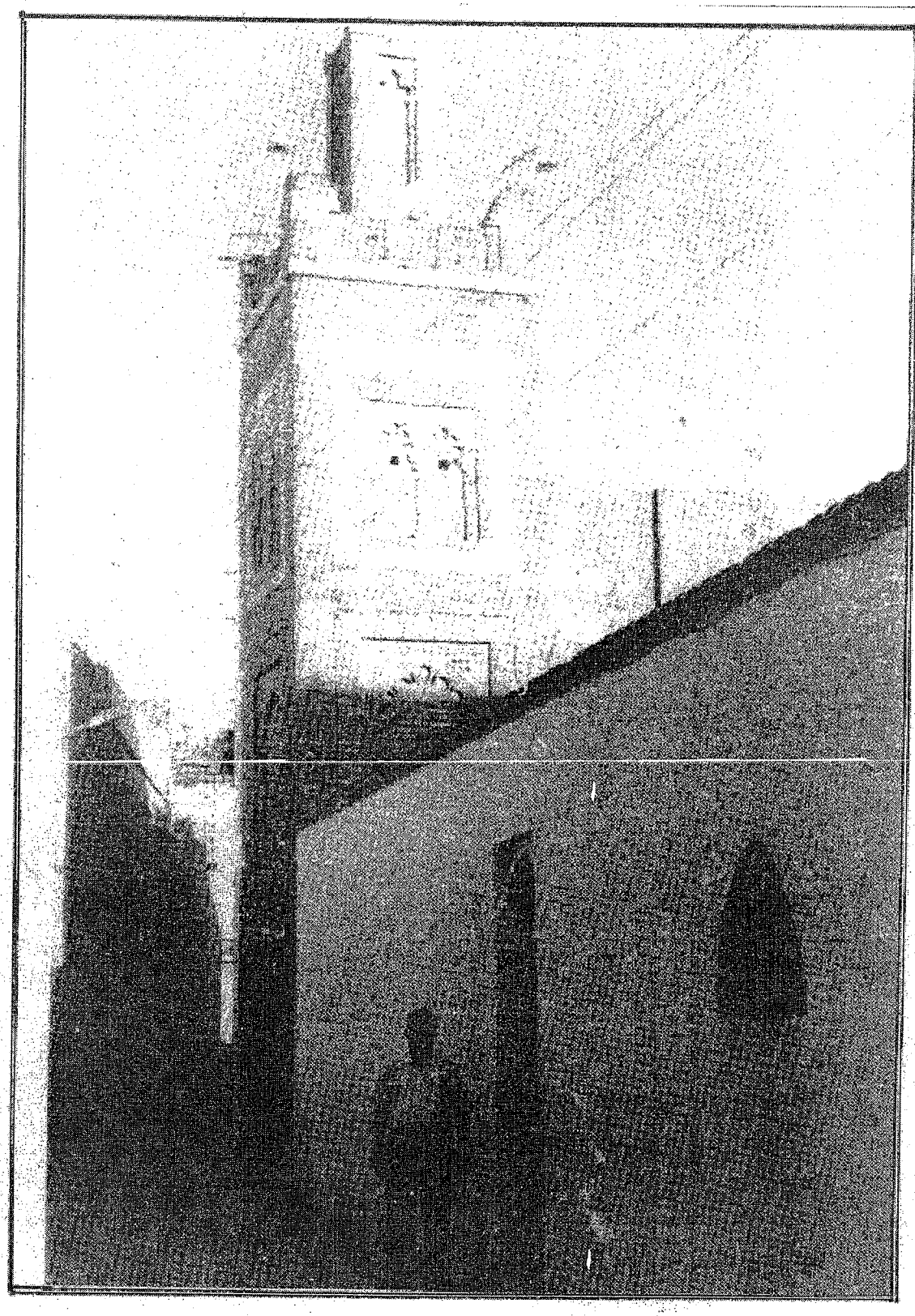

الصورة الخامسة :ـ مسجد أولاد الإمام

المرجع السابق ، ص : 236

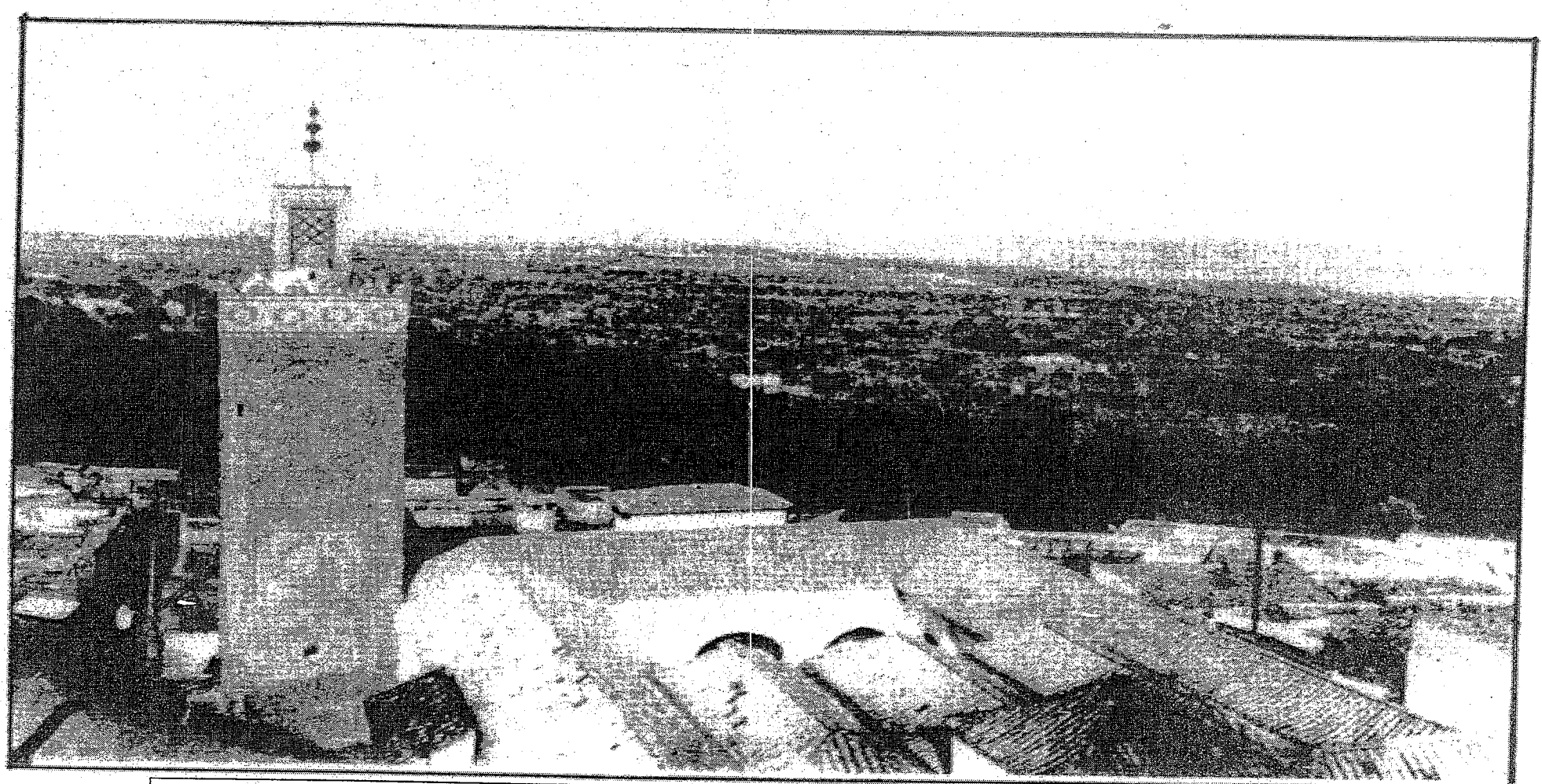

الصورة السادسة:ـــ جامع سيدي الحلوي: منظر جوّي للجامع والمئذنة (نرى كذلك سهل المنية)

المرجع السابق، ص : 313

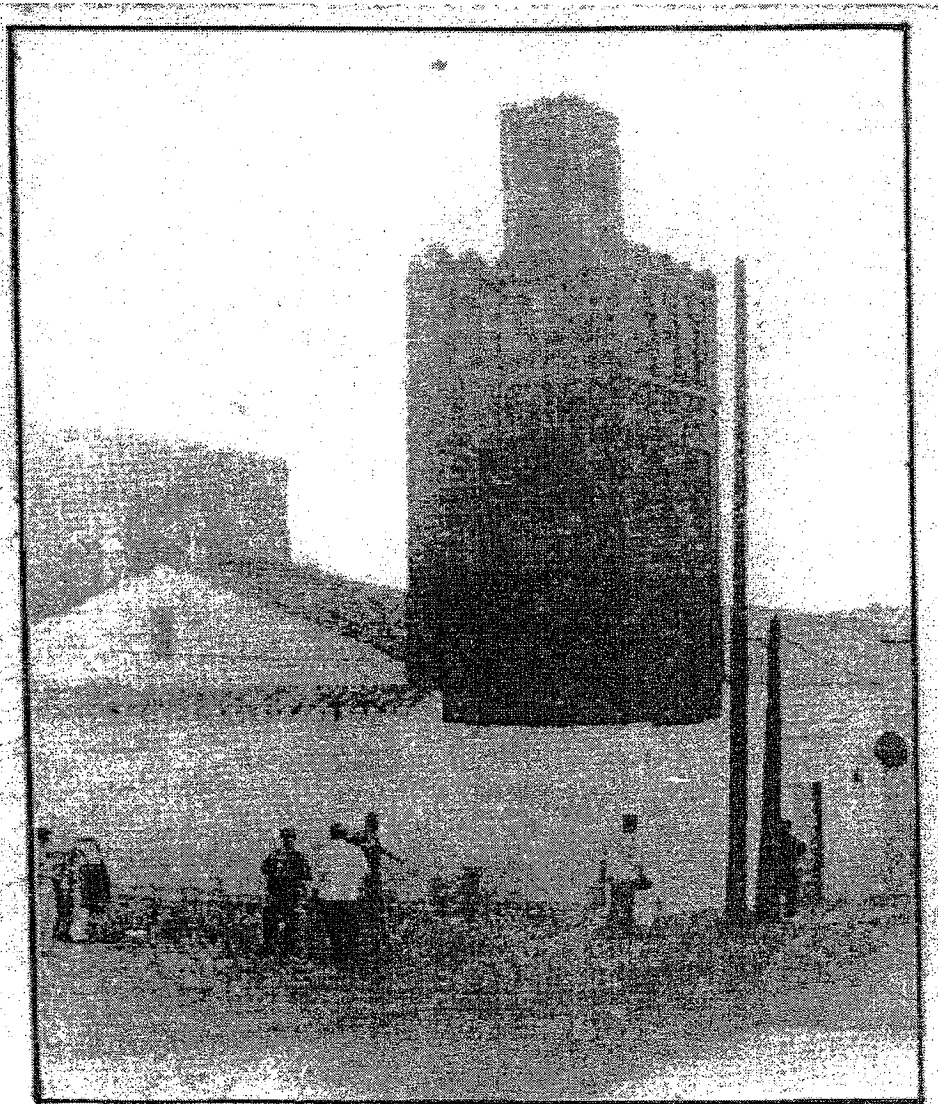

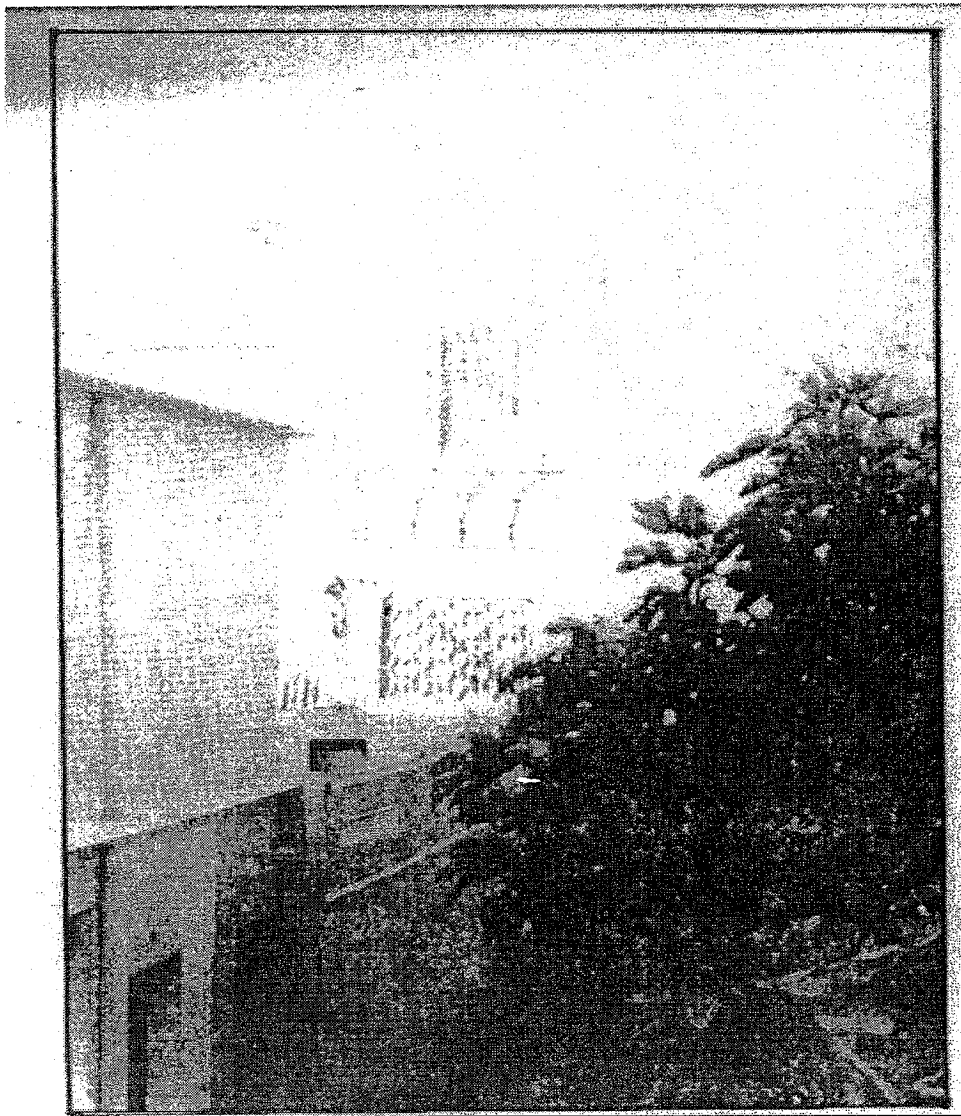

الصورة السابعة :
المرجع السابق ، ص : 260

ـ مسجد باب زير

ـ مسجد سيدي الحسن بن مخلوف

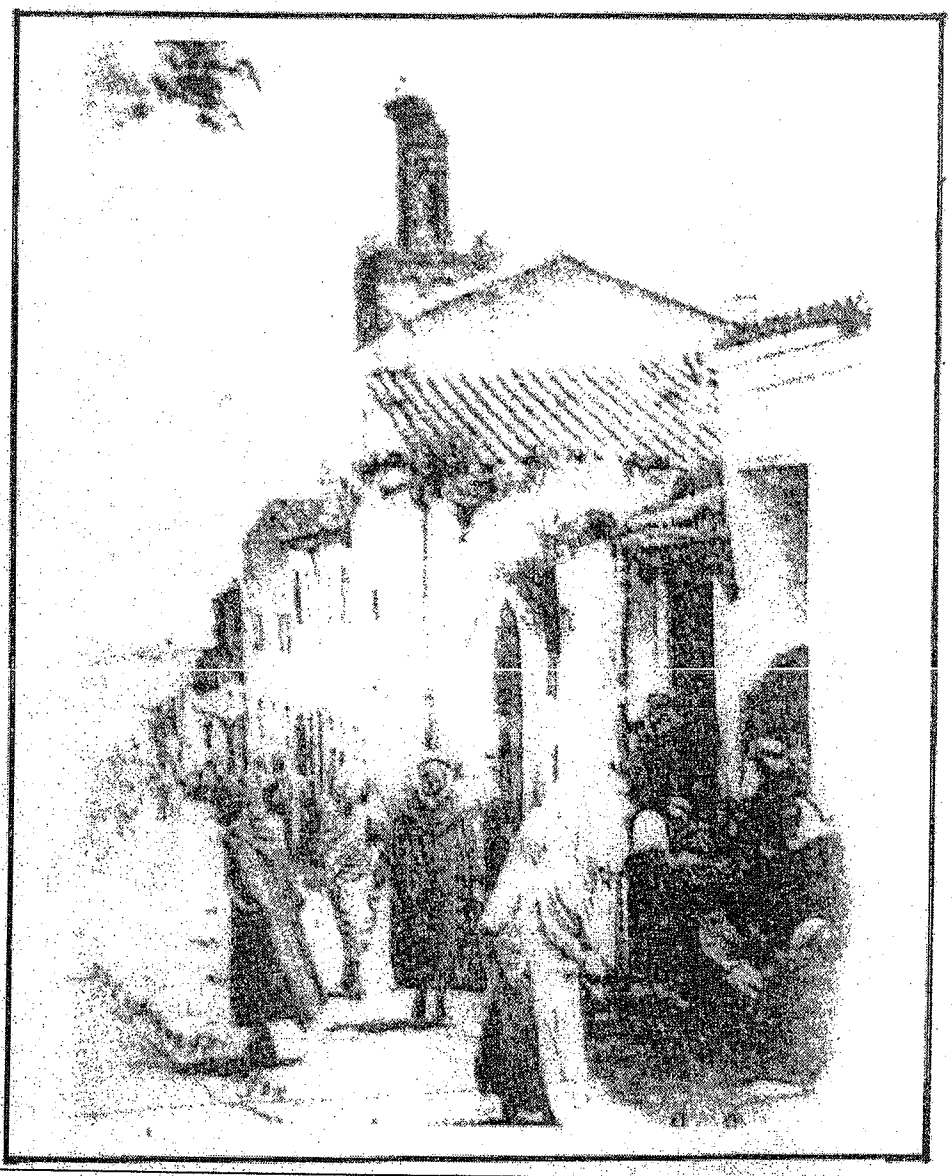

الصورة الثامنة : ـ مسجد الشيخ السنوسي

المرجع السابق ، ص : 256

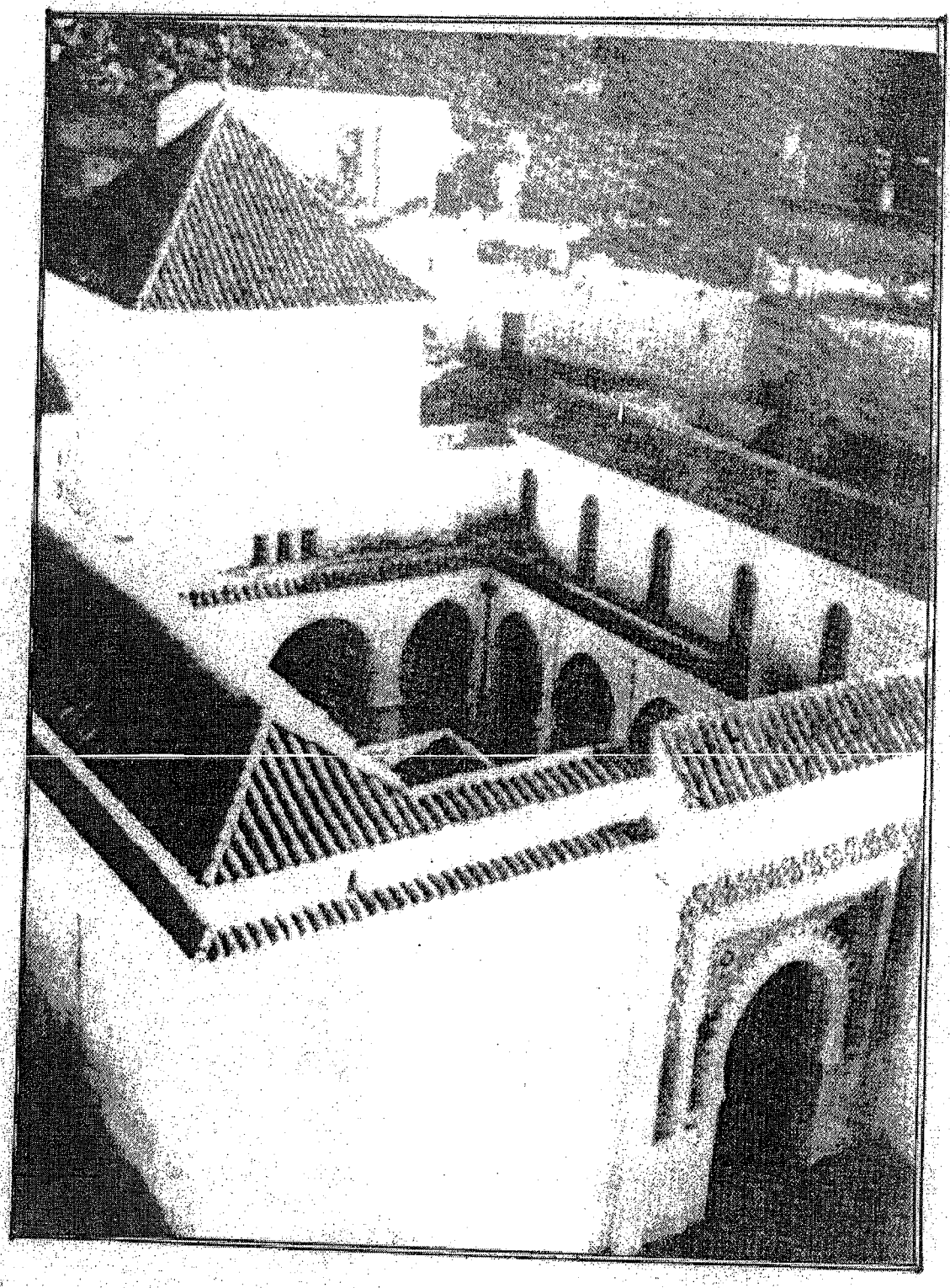

الصورة 09ـ مدرسة سيدي أبي مدين: الباب، الصحن، البيوت وقاعة الطلاة. وإلى جانب كونها مكانا للعبادة كانت كذلك مركزا لتكوين العلماء المتصوفين ورجال الثقافة.

وزارة الإعلام و الثقافة : بجاية سلسلة الفن و الثقافة ، ص : 33

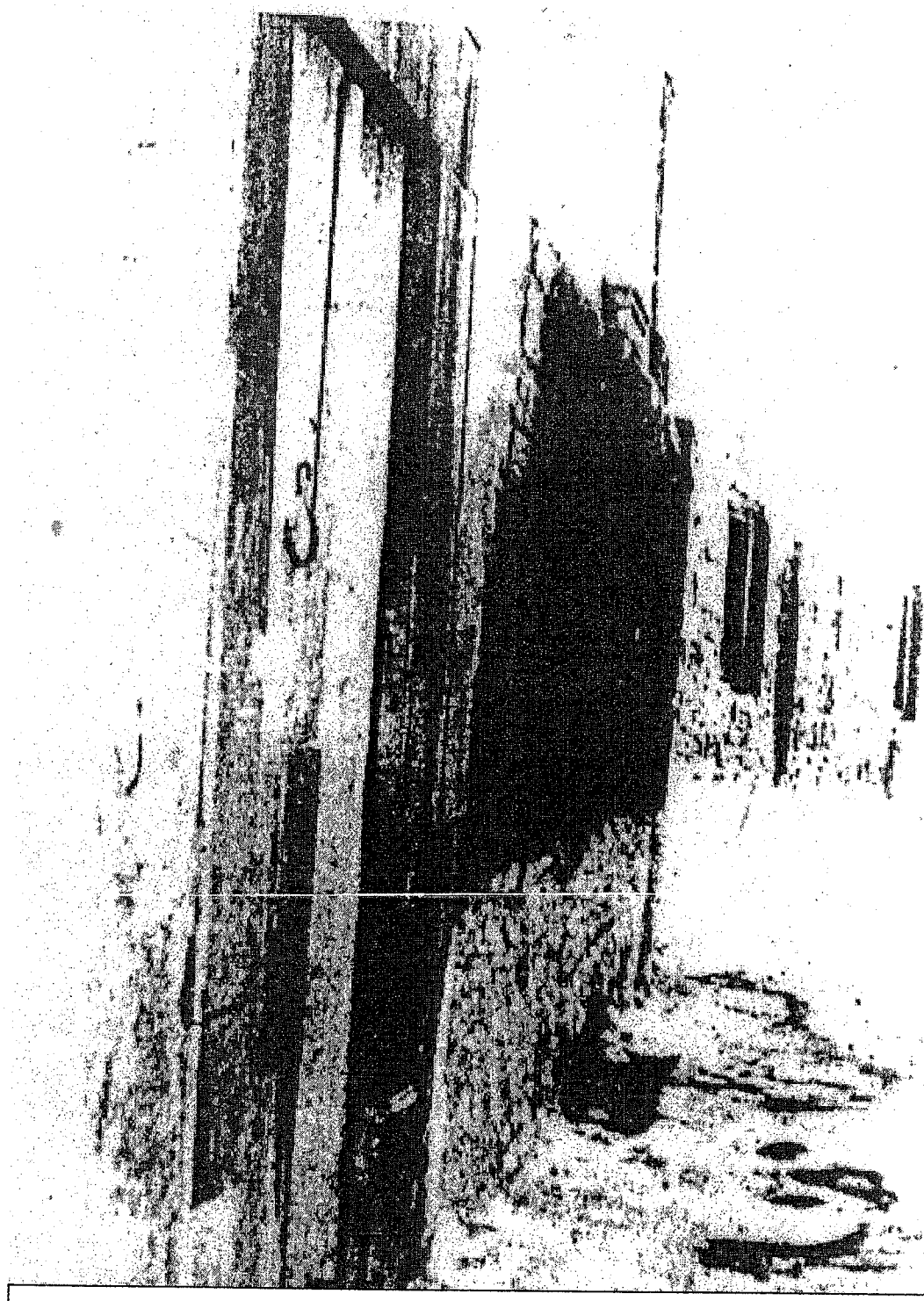

الصورة 10 : المدرسة المنتصرية التي أقام بها القلصادي مدة سنة و نصف ، و التي أخذ بها عن إبن عقاب مع جمهور الطلبة و هي مازالت قائمة بالعاصمة التونسية : نهج الوصفان رقم : 09 .

القلصادي : المصدر السابق ، ص : 113 .

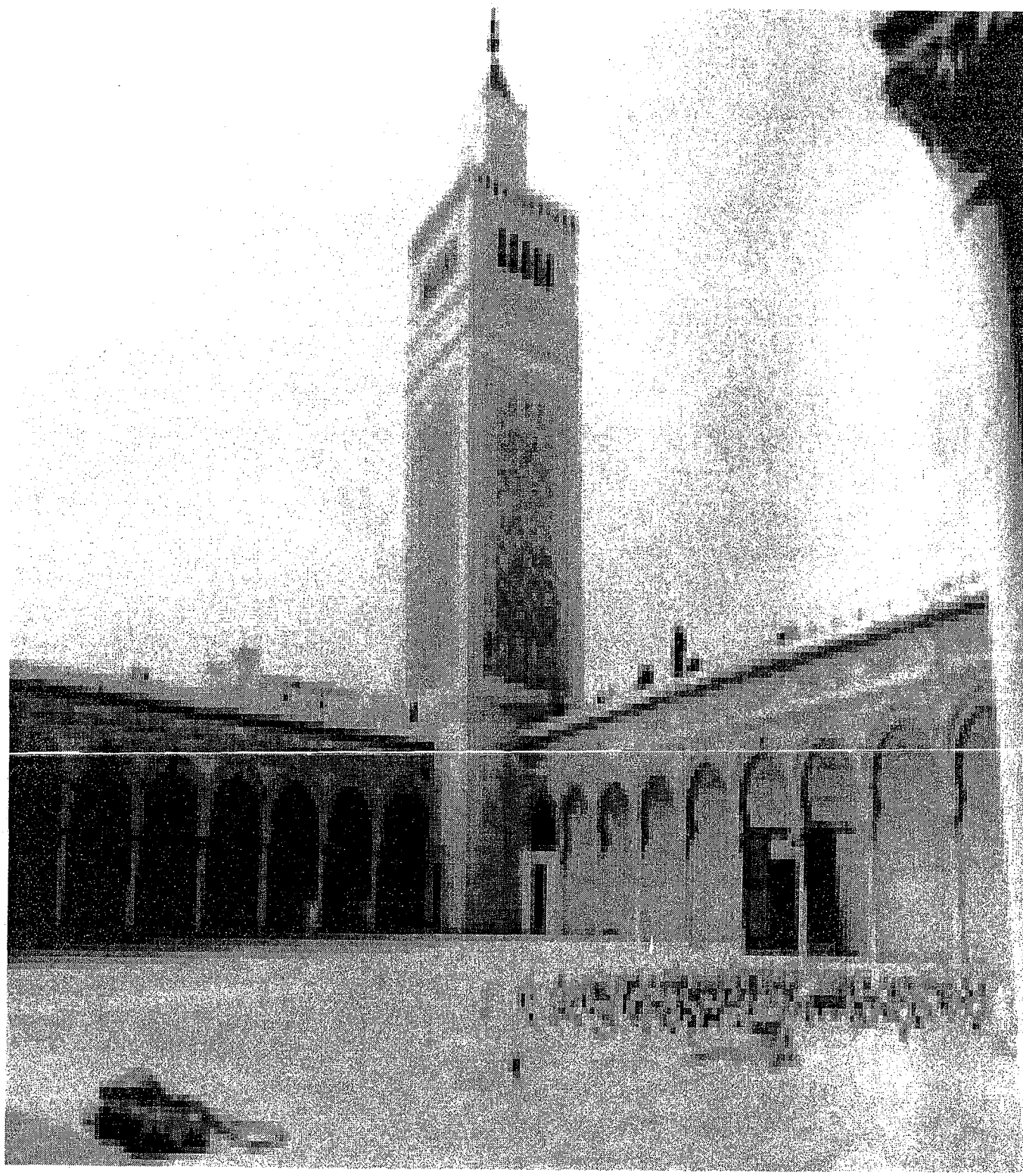

الصورة 11 : جامع الزيتونة بتونس .

المرجع : Encarta 2004

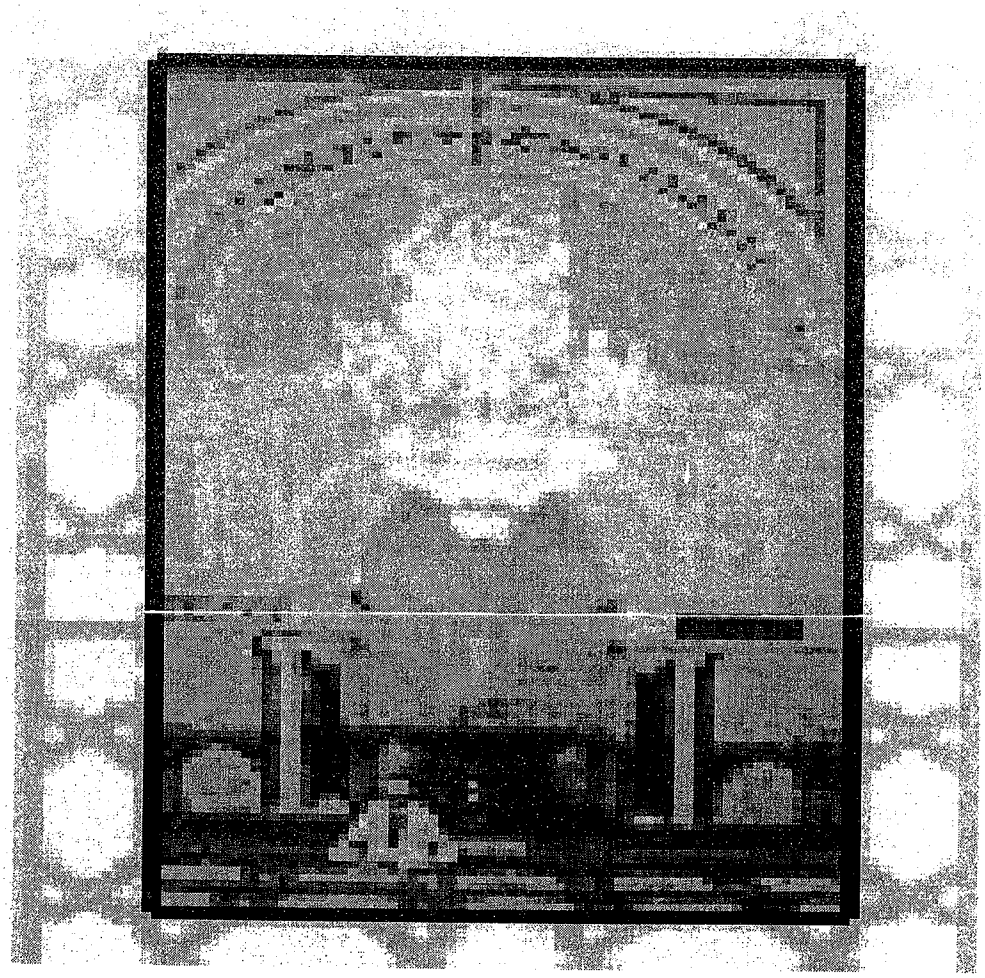

الصورة 12 : جامع الزيتونة بتونس من الداخل .

المرجع السابق

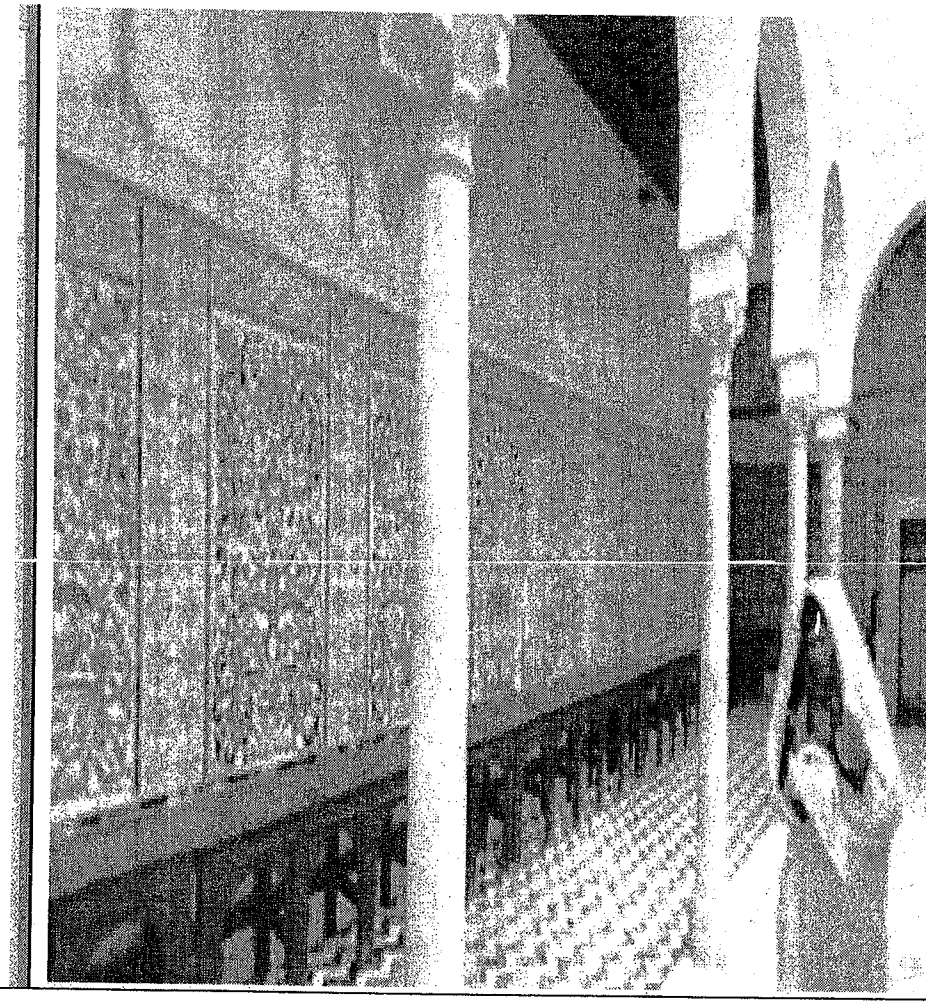

الصورة 13 :مسجد سيدي الصحاب،القيروان بني عام670هـ .

المرجع السابق

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أ- القرآن الكريم

ب-المـــــــــــصـــــــــادر .

جـ- الـــــــــمـراجـــــــــع .

1- بـــــــاللغـــــــة العـــــــربيـــــة .

2- بـــــــاللغـــــــة الفـــــــرنسيـة .

3- الـــــــرسائـــــــل الجـــــامعيـــــة .

4- المـــــــــــقالات و الـــــدراسات .

المصحف الشريف برواية ورش عن الإمام نافع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية 1984.

ب- المـــــصـــــادر

1- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي) (ت770 هـ / 1368 م) :

" تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار " ، جزءان ، حققه و قدمه و علق عليه المنتصر الكتاني مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 1985.

2- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) (ت 594 هـ / 1198 م)

" المن بالإمامة على المستضعفين تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لينان، 1987 .

3- البكري (أبو عبد الله عبد الله بن عبد العزيز المرسي) (ت 487 هـ - 1094 م) :

" المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب " ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، نشره البارون دي سلان ، باريس ، 1965 .

4- التيجاني (أبو عبد الله محمد بن أحمد) (ت حولي 717 هـ / 1317 م) :

"رحلة التيجاني "، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا 1981 .

5- التنبكتي (أبو عباس أحمد بن أحمد) (ت 1032 هـ / 1624 م) :

" نيل الابتهاج بتطريز الديباج " دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

6- التنسي (محمد بن عبد الجليل الحافظ) (ت 780 هـ / 1378 م) :

" نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان " ، حققه وعلق عليه محمود بوعياد المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 .

7- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) (ت 367 هـ / 977 م) :

" صورة الأرض " ، ليدن ، هولندا ، 1939 .

8- ابن الخطيب (لسان الدين) (ت 776 هـ / 1374 م):

" الإحاطة في أخبار غرناطة " حققه و قدم له محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1973 .

9- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت 808 هـ / 1405 م)

" المقدمة " الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس ، 1984 .

- " العبر وديوان المبتدأ و الخبر " ، مطبعة بولاق المصرية ، 1284 هـ .

- " التعريف بابن خلدون رحلته غربا و شرقا " منشورات دار الكتاب اللبناني ، للطباعة و النشر ، 1979 م .

12- ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن محمد) (ت 780 هـ/ 1378 م)

" بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، الجزائر ، 1980 م . .

13- " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " (جزاءان) حققه و ترجمه إلى اللغة الفرنسية ، ألفريد بل مطبعة فونتانا، الجزائر، 1911 م .

14- ابن أبي دينار (أبو عبيد الله الرعيني) (ت 1110 هـ / 1698 م) :

" المؤنس في ذكر أخبار إفريقية و تونس " ، تونس ، سنة 1967 .

15- ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي) (ت 726 هـ / 1326 م)

" الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس " تحقيق وطبع دار المنصور للطباعة و الرواقة ، الرباط ، 1973 .

16- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) (كان حيا سنة 894 هـ / 1488م) " تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية " تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966

17- ابن عذارى (أبو العباس أحمد المراكشي) _ كان حيا سنة 712 هـ/1312م):

" البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " ، نشره ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت 1967.

18- ابن غلبون :

" التذكار فيمن ملك طربلس و ما كان بها من أخبار، " نشره الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930 .

19- ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أحمد) (ت 1025 هـ / 1316م) :

" درة الحجال في غرة أسماء الرجال " ،القاهرة، 1970 .

20- القلصادي (علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي) (ت 891 هـ / 1486 م) :

" رحلة القلصادي " ، دراسة و تحقيق : محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع تونس ،1978 .

21- ابن القنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني (ت 810 هـ / 1407 م) :

" كتاب الوفيات " ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1971.

22- " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، 1986 .

23- المراكشي (محي الدين عبد الواحد علي التميمي)، (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ / 13 م) :

" المعجب في تلخيص أخبار المغرب "، تحقيق محمد السعيد العريان القاهرة 1963 .

24- ابن مرزوق (محمد التلمساني) ، (ت 781 هـ / 1379م) :

" المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن" ، تحقيق : ماريا خيسوس بغيرا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1981.

25- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد) ، (من أهل القرن العاشر الهجري):

" البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان " ، تحقيق محمد بن أبي شنب ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر د.ت .

26- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد) (ت 1401 هـ / 1631 م) :

" نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" ، حققه إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1968 .

27- ابن سحنون (محمد) (ت 256 هـ) :

" آداب المعلمين " تقديم و تحقيق مقارن الدكتور محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1981 . .

28- الحفناوي (أبو القاسم محمد) :

" تعريف الخلف برجال السلف " ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة ، العتيقة ، تونس 1985

29-الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) (ن 957هـ/1552م):

"وصف إفريقيا"،ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1983.

30-الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى)(ت.914هـ/1511م):

"المعيار المغرب في أخبار المغرب على فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب" أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت1981.

31-الرصاع (أبو عبدالله محمد الأنصاري):
"فهرسة الرصاع" ، تحقيق محمد العنابي ،المكتبة،العتيقة ،تونس ،1967.
32-الناصري (أبو العباس خالد)(من أهل القرن 13الهجري):
"الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى "، تحقيق و تعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري و محمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المغرب ،1955
33-الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)(ت 704هـ 1304م):
"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المأة السابعة ببجاية"،تحقيق الأستاذ رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1981.
34-مخلوف (محمد بن محمد):
"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية "،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ذات
35-السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)،(902هـ/1497م):
"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" ،القاهرة :1355هـ/1936م.
36-الحميري (محمد بن عبد المنعم السبتي)(ت في أواخر القرن 09هـ/15م):
"الروض المعطار في خبر الأقطار "، تحقيق إحسان عباس ،مكتبة لبنان ،بيروت 1979م.
37- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله محمد) (626 هـ / 1228 م) :
" معجم البلدان " ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1979 .
38- مؤلف مجهول :

" الاستبصار في عجائب الأمصار " ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، العراق، 1968 .

39- ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت : 703 هـ / 1303م)

" الذيل و التكملة لكتابي الموصل و الصلة"، تقديم و تحقيق و تعليق محمد بن شريفة، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1984 .

جـ - المـــــراجـــــع .

1- بـــاللغـــة الـــعربيـــة .

- أبو الأجفان (محمد الهادي) :

" الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني"، دار العربية للكتاب، تونس1988.

- الجيلالي (عبد الرحمن) :

"تاريخ الجزائر العام"، دار الثقافة ، بيروت – 1980.

- الطمار (محمد بن عمرو) :

"تاريخ الأدب الجزائري"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1973.

"الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ،1983 م .

- ألفرد (بيل)

" الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم" ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1987.

- الميلي (مبارك بن محمد) :

"تاريخ الجزائر في القديم الحديث "، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، بدون تاريخ .

- الغنيمي (مقلد عبد الفتاح) :
"موسوعة المغرب العربي مكتبة مذبولي " ، القاهرة الطبعة الأولى ، 1994 .

- القبلي (محمد) :
"مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط" ، دار طوبقال للنشر الدار البيضاء، سنة ،1987 .

- توات (محمد الطاهر) :
"أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن الهجري "، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 .

- جوليان (شارل أندري) :
"تاريخ إفريقيا "، ترجمة محمد مزالي و بشير سلامة ، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1969 .

- حاجيات(عبد الحميد) :
" أبو حمو موسى الثاني ،حياته و أثاره"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، سنة 1974 .

- لوبان (غوستاف) :
"تاريخ حضارة العرب " ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة الحلبي ،سنة ، 1945

- مؤنس (حسين) :
"تاريخ المغرب و حضارته" ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1992 .

- عز الدين (عمر أحمد موسى) :
"دراسات في التاريخ المغربي الإسلامي" ، دار الشروق ، بيروت ،1403هـ / 1983 م .

- عفيفي (محمود إبراهيم) :
"بنو غانية في بلاد المغرب"، دار الثقافة ، القاهرة ، 1986 .

- عنان (محمد عبد الله) :
"عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس "، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة، 1964 .

- فيلالي (عبد العزيز) :
" تلمسان في عهد الزياني" ،موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002.
" العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و بلاد المغرب " ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 .

- سالم (السيد عبد العزيز) :
" تاريخ المغرب في العصر الإسلامي "، مؤسسة الشهاب للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ، بدون تاريخ .
"التاريخ و المؤرخون العرب" ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر الإسكندرية ،مصر ، 1967.

- سعد الله (أبو القاسم) :
"تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20 م)"، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981 .

- شاوش (محمد رمضان) :
"باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان ، عاصمة الدولة الزيانية "، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995 .

-محمد (محمد أمين):

"الأوقاف و الحياة الاجتماعية في مصر "، دار النهضة العربية ، القاهرة الطبعة الأولى، 1980 .

-الدولاتي (عبد العزيز) :

"مدينة تونس في العهد الحفصي "، دار سرس ، تونس ،1981 .

-حاجيان (عبد الحميد)- دهينة (عطاء الله)- بوروبة (رشيد):

"الجزائر في التاريخ " ، العهد الإسلامي :من الفتح إلى بداية العهد العثماني (الباب السادس و السابع و الثامن)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

2-باللغة الفرنسية

- Arie Rachel :

" l'Espagne musulmane au temps nassirides (1232.1492) ", ed . E.de boccard , paris 1973.

BOUALI ,Sidi Ahmed .

" Les deux grands sièges de Tlemcen " , E.N.A.L. Alger , 1984 .

- BOURUIBA (R)

" Les inscriptions commemoratives , des mosques d'Algérie" , 0.P.U. , Algerie, 1984

- Braslard charles :

"Les inscriptions arabes de Tlemcen", Revue Africaine , N°14 , 3 ème Année, 1859

BRUNSHVIG (R)

"La berberie,oriental sous les hafsides , des origines a la fin du 15 eme siecle" tome : 02,Librerie

d'amerique et d'orient adrien , Maisonneuve , paris 1947 .
-FREMY M ichel et Dominique :
"Quid 2002 , tout surtout et un plus que tout" Robert lafont , paris , 2001

د- الـــــرسائـــــل الـــــجامعيـــــة :

- بن داود (نصر الدين) :
"علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من القرن 07 هـ الى 10هـ" قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة وهران ، 2003.
-بوشامة (عاشور) :
"علاقات الدول الحفصية مع الدول المغرب و الأندلس" ، ماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1991.
-عبدلي (الأخضر) :
"مملكة تلمسان في عهد بني زيان" ، شهادة التعمق في البحث ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة تونس ،1987 .

هـ- الـــــدراســـــات و المقـــــالات :

- البوعبدلي (المهدي) :
"أهم الأحداث الفكرية بتلمسان و المغرب عبر التاريخ " مجلة الأصالة ، العدد:26، جويلية / أوت : 1975 .
-الطالبي (محمد) :
"الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين "، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة العدد : 26 ، جويلية و أوت ، 1975 .
- المنوني (محمد) :

"منهجية التعليم في الإسلام " ،مجلة دعوة الحق ، العدد الأول ، يناير 1979 المغرب

- القاضي (وداد) :

" المدرسة في المغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري في ضوء كتاب المعيار للونشريسي" ، دار الفكر التربوي الإسلامي ، أعمال مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في بيروت من 15 إلى21 مارس 1981 .

- مجاني (بوبة) :

"المدارس الحفصية : نظامها و مواردها" ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، العدد : 12 ، سنة 1999 .

- مرزوق (محمد) :

"الجالية الأندلسية بالمغرب العربي (تونس ، الجزائر)" ،المجلة التاريخية المغاربية ، العدد : 13 نوفمبر 1986 .

- حسن (محمد) :

"وثيقة في التاريخ الريفي : تحبيس هنشيرا ابن منصور بالمهدية على رباط المنستير سنة 825 هـ / 1422 م "، المجلة التاريخية المغربية، عدد : 49 – 50 ، 1988 .

- زيادة (نيكولا) :

"صانعو الحضارة العربية الإسلامية " : المعلم ، مجلة العربي، العدد: 516 نوفمبر ، 2001.

- د رارجة (أبو القاسم) :

" العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس " ، مجلة بحوث ، جامعة الجزائر ، العدد : 02 ، 1994 .

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس مواد البحث

المقدمة ..... أ

دراسة مصادر البحث .....ج

الفصل الأول : واقع المغربين الاوسط و الأدنى خلال القرنين 7 و 9 هـ / 13 و15م... 41/10

أ- الدولة الزيانية 10

ب- الدولة الحفصية 19

ج- طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية خلال القرنين : 7-9هـ / 13-15 م 29

د- العلاقات بين الدولتين إلى غاية نهاية الهيمة الحفصية 30

هـ- أثر الصراع الزياني الحفصي على العلاقات الثقافية 38

الفصل الثاني :أصناف العلوم و مناهج التعليم .....42 / 76

أ- أصناف العلوم 42

1- العلوم النقلية 42

2- العلوم العقلية 56

ب- مناهج التعليم 61

ج- أهم العلماء الذين اشتهروا في مختلف العلوم.....67

الفصل الثالث : المؤسسات التعليمية و دورها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين ..77 /102

أ- الكتاتيب و الزوايا و المساجد 77

ب- المدرسة 80
ج- أثر هذه المؤسسات في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين 100

الفصل الرابع :دور الحكام و العلماء في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين ..... 103 /128

أ- عوامل نشاط الحركة الثقافية بين البلدين 103
ب- إنعكاساتها على البلدين 107
ج- الرحلة في طلب العلم 118
د- الهجرة الأندلسية و دورها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين 121

الخاتمة ..... 129 / 131
الملاحق ..... 132 / 149
قائمة المصادر و المراجع ..... 150 / 161
فهرس مواد البحث ..... 162 / 163